:: Secularism ::

العلمانية

النبتة الخبيثة



فضيلة الشيخ

د/ أحمد فريد

دار ابن الجوزي
القاهرة

العلمانية

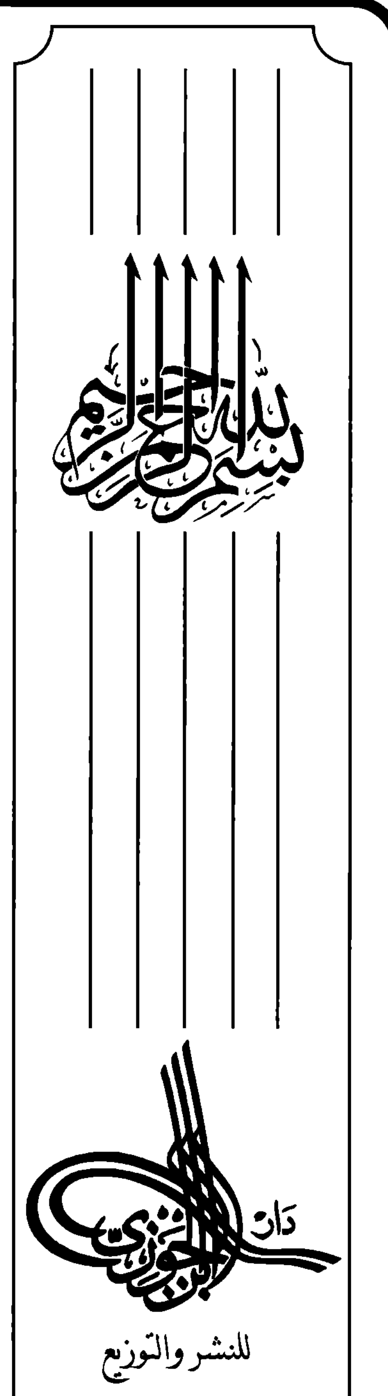
النبتة الخبيثة

الدكتور

أحمد فريد

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين





الطبعة الأولى
٢٠١٢

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م
رقم الإيداع: ١٥٩٥/٢٠١٢

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية - القاهرة
٥ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٩٠٣ - ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢٠
E-mail: dar_ebnelgawzy@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

ثم أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد أيضًا :

العلمانية هذه النبتة الخبيثة التي ظهرت في الغرب الكافر بعد الثورة على الطغيان الكنسي ، أتى بها من لا ناقة له ولا جمل في دين الإسلام ، متوهمًا أنه جاء بأكسير السعادة إلى بلاد الإسلام ، جهلًا منه أن الدين الإسلامي الذي تكفل بعز الدنيا والآخرة ، وسعادة الدنيا والآخرة ، الذي يحكم العباد والبلاد ، ولا يرضى

أن يكون مجرد طقوس وعبادات فردية يختلف تمامًا عن النصرانية المحرفة التي حكمت أوربا في القرون الوسطى ، والتي نصبت العداء للعلم والعلماء ، فثار الناس على ملوكهم وقساوستهم وقالوا : اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس ، وأرادوا العمل بما روي عن المسيح عليه السلام : « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فأرادوا بجهل وغباوة أن يزرعوا هذه النبتة الغريبة الخبيثة في ديار الإسلام ، وظنوا أن ذلك يسلم لهم ، في ظل الحكومات العلمانية الدكتاتورية في جل بلاد المسلمين ، تقلدوا المناصب ، وتصدروا المجالس ، وسلّطت عليهم الأضواء على أنهم إصلاحيون ومجددون وتقدُّمِيون ، وتملّكوا زمام الإعلام ، فكانوا حربًا على الإسلام وأهله ، وصارت خطبة الحاجة عندهم سب الإسلاميين ، والتعريض بهم ، ووصفهم بأنهم أعداء الحضارة ، وللتمهيد للطواغيت في بلاد الإسلام لضربهم ، والتضييق عليهم ، واغتر بعض شباب المسلمين بزيفهم وباطلهم ، فصار هؤلاء المستغربون نكبة على العباد والبلاد ، وما علم هؤلاء وهؤلاء أن العلمانية منبع الجهل الضلال ، ومستنقع الشبهات والشهوات ، الغالي فيهم ينكر وجود الله ﷻ ويظهر إلحاده وتمرده على شرع الله ، والمعتدل منهم يعترف بالإسلام عقيدة ، ولا يعترف به شريعة ، وكلاهما في ضلال مبين وأنا ألخص في هذه المقدمة مختصر معتقداتهم ، ثم أبين بحمد الله وحوله وقوته في غضون هذا البحث «العلمانية الخبيثة» شرهم المستطير ، وما درجوا عليه من التزييف والتضليل والتدجيل .

فهذه بعض معتقداتهم وأفكارهم :

◈ بعضهم ينكر وجود الله ﷻ أصلًا ، وهذا غالبًا في البلاد الكافرة ، ومن كان منهم في بلاد المسلمين لا يجرأ على الجهر بإلحاده ، وكفره وعناده .

◈ وبعضهم يؤمنون بوجود الله ، لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان .

◈ الحياة تقوم على أساس العلم المطلق ، وتحت سلطان العقل والتجريب .

◈ إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة ، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية .

◈ فصل الدين عن السياسة ، وإقامة الحياة على أساس مادي .

◈ تطبيق مبدأ النفعية على كل شيءٍ في الحياة .

اعتماد مبدأ الميكيافيلية على فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق .

نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية .

أما في بلاد المسلمين فيزيدون على ما ذكرناه آنفًا :

◈ الطعن في حقيقة الإسلام ، والقرآن ، والنبوة .

◈ الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني .

◈ الوهم بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة ، ويدعو إلى التخلف .

◈ الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

◈ تشويه الحضارة الإسلامية ، وتضخيم الحركات الهدَّامة في التاريخ الإسلامي ، والزعم بأنها حركات إصلاح ، وإحياء الحضارة القديمة .

◈ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب وتربية الأجيال تربية لا دينية .

فهذه بعض بلايا العلمانية ، وهي باختصار عدم الاعتراف بالدين ، واتباع الشياطين .

وما بين يدي القارئ الكريم محاولة من المؤلف للتعريف بها ، وبيان خطرها وخطتها ، وكيف نشأت ، وكيف أدخلت في بلاد المسلمين ، وبينت كذلك ما

١- معنى العلمانية

العلمانية في الحقيقة تعني : إبعاد الدين عن الحياة أو فصْل الدين عن الحياة ، أو إقامة الحياة على غير الدين ، سواء بالنسبة للأمَّةِ أو الأفراد .

والترجمة الصحيحة للعلمانية هي : «اللادينية» ، أو الدنيوية .. لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب ، بل بمعنى أخصَّ وهو ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت صلته بالدين علاقة تضاد .

وإنما ترجمت الكلمة الأجنبية بهذا اللفظ «العلمانية» ؛ لأن الذين تولوا الترجمة لم يفهموا من كلمتي «الدين» ، و «العلم» إلا ما يفهمه الغربي الصليبي منها ، والدين والعلم في مفهوم الإنسان الغربي متضادان ، متعارضان ، فما يكون دينًا لا يكون علميًا ، وما يكون علميًا لا يكون دينيًا ، فالعلم والعقل يقعان في مقابل الدين ، والعلمانية والعقلانية في الصف المضاد للدين .

وتتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة .

تقول دائرة المعارف البريطانية : هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا ، والتأمل في الله واليوم الآخرة ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية ، وبإمكانية تحقيق مطامعهم في هذا الدنيا القريبة .

وظل الاتجاه إلى العلمانية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله ، باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية .

ويقول معجم إكسفورد :

١- دنيوي أو مادي ليس دينيًا ولا روحيًا ، مثل التربية اللادينية ، الفن أو الموسيقى اللادينية السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة .

٢- الرأي الذي يقول : إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية .

ويقول «المعجم الدولي الثالث الجديد» :

اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة ، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادًا مقصودًا ، فهي تعني مثلًا «السياسة اللادينية البحتة في الحكومة ..» .

وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي ، دون النظر إلى الدين [1] .

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو : «فصل الدين عن الدولة» .

ويرى الشيخ سفر الحوالي - حفظه الله - أن هذا التعبير قاصر ، ولا يعطي المدلول الكامل للعلمانية ، والمدلول الصحيح لها هو :

إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أو الفرد .

ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود ، فبعضها سمح به كالجماعات الديمقراطية الليبرالية .

وبعضها يرفض الدين تمامًا كجماعات العلمانية المتطرفة المضادة للدين ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها .

---

(١) «الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه» للدكتور يوسف القرضاوي (٤٨-٥٠) باختصار ط. دار الصحوة .

يقول : هذه حقيقة العلمانية ، وهذا هو وجهها الحقيقي الذي لا يزينه المكياج ، ولا يُخفي عيوبه التلاعب بالألفاظ ، العلمانية تعني اللادينية ليس إلا .

ويرى البعض العلمانية اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم ، وقد ظهرت في أوربا منذ القرن السابع عشر ، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر ، وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ، ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر ، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين ، وقد اختيرت كلمة «علمانية» ؛ لأنها أقل إثارة من كلمة «لا دينية» ، ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة ، وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه ، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ، ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوها ، وتتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في صل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ، ولله سلطة الكنيسة ، وهذا واضح فيما ينسب للسيد المسيح عليه السلام من قوله : « اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. » .

أما الإسلام فلا يعرف هذه الثنائية ، والمسلم كله لله ، وحياته كلها لله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

ويقول الأستاذ سلطان بن سرَّاى الشمري :

للعلمانية صورتان :

١- صورة متطرفة وهي التي لا تكتفي بعزل الدين عن الدنيا ، بل تحارب الدين جملة ، فتنكر وجود الله ، وتحارب الأديان ، وتكفر بالغيب .

٢- صورة معتدلة وهي التي تكتفي بعزل الدين عن الدنيا ، دون أن تنكر وجود الله ، أو تحارب الدين ، بل إنها ستسمح بإقامة بعض الشعائر والعبادات بشرط أن تقتصر علاقة العبد بربه ، دون أن يكون للدين علاقة في شئون الحياة الأخرى .

ولا تعني كلمة (معتدلة) أنهم ليسوا خطرًا على المجتمع ، بل هم أشد خطرًا من الفريق الأول ؛ لأن الفطرة السليمة تنبذ الفريق الأول بخلاف الثاني ، فهي معتدلة بالنسبة لتعايش وقبول المجتمع لهم نوعًا ما ، وهنا تكمن الخطورة .

فهم مع الأسف مجموعة من العادات السيئة والقبيحة بكل دين يأخذون منه ، وافق أهواءهم الشاذة والمتزندقة فينتج لنا مذهب متشرد ، لا ينتمي لأي فئة ، كذباب لا يقع إلا على القبيح من الأقوال والأفعال .

فهم معول هدم في أيدي الغرب الفاجر والسرطان الفكري للشعوب المسلمة ، ومستنقع الشبهات والشهوات ، وهذا هو حالهم ومرادهم ، فهم قد انتشروا بين المسلمين بصمت لا كثرهم الله بدعوى الإصلاح المزعوم ، وهم في حقيقة الأمر مفسدون في الأرض ، وإن قالوا عن أنفسهم أنهم مصلحون : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١-١٢] .

فدعوى العلمانية في حقيقتها «افعل ولا حرج» ، وهدفهم الأسمى الانحلال الخلقي والديني ، وطموحاتهم الحالية الفجور والسفور والاختلاط ، وتحكيم القوانين الوضعية [1] .



(١) العلمانية مستنقع الشبهات والشهوات باختصار .

٢- نشأة العلمانية وغزوها لبلاد المسلمين

يقول الدكتور / إسماعيل محمد حنفي :

بداية النشأة في أوربا ، وكان ذلك بسبب عبث الكنيسة بدين الله المنزل وتحريفه وتشويهه وتقديمه للناس بصورة منفرة ، دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة ، كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بقدر الله ومشيئته من كل عبث أو تحريف خلال القرون .

إن ما نبذته أوربا حين أقامت علمانيتها لم يكن هو حقيقة الدين ، فهذه كانت منبوذة من أول لحظة ، إنما كان بقايا الدين المتناثرة في بعض مجالات الحياة الأوربية أو في أفكار الناس ووجداناتهم ، فجاءت العلمانية فأقصت هذه البقايا إقصاءًا كاملًا من الحياة ، ولم تترك منها إلا حرية من أراد أن يعتقد بوجود إله يؤدي له شعائر التعبد في أن يصنع ذلك على مسئوليته الخاصة ، وفي مقابلها حرية من أراد الإلحاد والدعوة إليه أن يصنع ذلك بسند الدولة وضماناتها .

ويمكننا تلخيص تسبب الكنيسة في نشأة العلمانية في الآتي :

◈ عقيدة منحرفة : أن الله ثالث ثلاثة ، وأنه هو المسيح بن مريم .

◈ حصر الدين في العبادة بمعناها الضيق فقط ، وفي العلاقة الروحية بالخالق .

◈ نفوذ رجال الدين على الملوك وعلى عامة الناس ، بحيث لا يقع تصرف منهم فيكون صحيحًا إلا عن طريق رجال الدين ، ولو كان ذلك وفق توجيه رباني صحيح ، ولمصلحة البشر لم يكن فيه إشكال ، لكن لمصلحة رجال الدين .

◈ قيام رجال الدين بالتشريع من عند أنفسهم تحليلًا وتحريمًا ، حسب أهوائهم ومصالحهم ، مثل تحليل الخمر والخنزير وإبطال الختان .

◈ محاربة الكنيسة للعلم وقتلها العلماء .

◈ استغلال رجال الكنيسة لمكانتهم في فرض عشور في أموال الناس وتسخيرهم للخدمة في أرض الكنيسة ، وفرض ما يعرف بصكوك الغفران .

◈ الفساد الخلقي بكل أنواعه كان يمارسه رجال الدين .

◈ مناصرة الكنيسة للمظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على الناس .

كل تلك الأسباب وغيرها أدت إلى نبذ أوربا للدين وإقبالها على العلمانية باعتبارها مخلصًا لها مما عانته من سطوة رجال الدين ، وسبيلًا للانطلاق والتقدم الذي كان الدين بذلك التصور وتلك الممارسات – حجر عثرة أمامه .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي :

إن تاريخ الكنيسة نفسه مع العلم والفكر والحرية تاريخ مخوف ، فقد وقفت الكنيسة مع الجهل ضد العلم ، ومع الخرافة ضد الفكر ، ومع الاستبداد ضد الحرية ، ومع الملوك والإقطاعيين ضد الحرية ، حتى ثارت الجماهير عليها ، وتحرروا من الحكم المباشر لرجالها ، واعتبروا عزل الدين عن الدولة كسبًا للشعوب ضد جلَّاديها .

تاريخ الكنيسة في ذهن الإنسان الغربي المسيحي [(١)] يعني الاضطهاد والقتل ومحاكم التفتيش والمذابح المستمرة بين الطوائف المتنازعة بعضها وبعض ، وعودة السلطة إليها تعني عودة هذه المآسي ، فلا غرو أن ينفر الإنسان الغربي منها ، ويقف في سبيل حكمها وتسلطها .

لنستمع إلى شاهد من أهلها وهو الأستاذ «أمرى ريفر» حيث يحلل أسباب فشل المسيحية في كتابه «تحليل السلام» ، فيقول : « إن القتل الواسع النطاق ،

---

(١) الأولى أن يُقال الصليبي ولا ينسبه للمسيح عليه السلام .

والتعذيب والاضطهاد والضغوط التي شهدناها في منتصف القرن العشرين، لأدلة قاطعة على الإفلاس الكامل للمسيحية كوسيلة لترويض الانفعالات الإنسانية الغريزية، ولتحويل الإنسان من حيوان إلى مخلوق اجتماعي معقول، وإن بعث البربرية والاستعمال المطلق للقتل الجماعي في العالم بأسره، لا يمكن اعتباره كعمل لقلة من الأفراد الذين لا يؤمنون بالله، بل أصابهم مرض التلذذ بالتعذيب السادرم أو جماعة من المتعصبين للشنتوية اليابانية».

لقد قتل الملايين من الأبرياء دون أن تهتز شعرة في جسم من قتلوهم، كما نهب عشرات الملايين من البشر وجردوا مما يملكون، ونفوا عن بلادهم واستعبدوا، وقد لقوا هذا المصير على أيدي مسيحيين انحدروا من أصلاب أسر مسيحية، انتسبت منذ قرون إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أو إلى الكنيسة الشرقية البروتستانتية»[1].

لقد ارتُكبت فظاعات ومآس مفزعة، ومجردة من كل مظهر إنساني، لا على ألمان ويابانيين فحسب، بل على أيدي أسبانيين وطليان وبولنديين ورومانيين ومجر وفرنسيين وصرب وكروات وروس، ولقد أغضت عن هذه القطاعات، وأغمضت عنها كل المجتمعات المسيحية على اختلاف مذاهبها.

قال الدكتور القرضاوي:

هذا نموذج للمطاعن التي وجهت للمسيحية، وهو غني عن كل تعليق، فهل الإسلام كان كذلك، وهل يمكن أن يؤاخذ بمثل ذلك؟ إن وقائع التاريخ وحقائق الإسلام تجيب بالنفي، ولكن الإسلام مع ذلك تأثر من هذه الحملة، كما تأثر من طغيان الأفكار الوطنية والقومية عليه، ليس فقط لأن الغربيين أصبحوا ينظرون إليه ويكتبون عنه باعتبار أنه نسخة من المسيحية كما يتهمونها، بل لأن المسلمين الذين تعلموا

---

(١) الأولى أن يُقال الصليبية أيضًا.

في مدارسهم «اللاتينية» أصبحوا يعتقدون ذلك بدورهم، وينظرون إليه بنفس المنظار [(١)].

غزو العلمانية بلاد المسلمين :

١- تركيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية شرطوا على تركيا أربعة شروط حتى يعترفوا بها :

الشرط الأول : إلغاء الخلافة، الثاني : طرد الخليفة، والثالث : مصادرة أمواله، والرابع : فرض العلمانية، وقد تولى كبر ذلك عميلهم الأكبر بل الأحقر مصطفى كمال أتاتورك .

٢- مصر : دخلت العلمانية مصر في حملة نابليون بونابرت، وأول من استعمل مصطلح العلمانية في مصر نصراني يدعى إلياس بقطر، وأدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م، وكان هذا الخديوي مفتونًا بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوربا .

٣- الجزائر : أُلغيت الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م .

٤- تونس : أُدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩٠٩م .

٥- المغرب : أُدخل القانون الفرنسي فيها سنة ١٩١٣م .

٦- العراق والشام : أُلغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية، وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها .

من أشهر دعاة العلمانية في العالم العربي الإسلامي : أحمد لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين، طه حسين، عبد العزيز فهمي، مشيل عفلق، أنطوان سعادة، فؤاد زكريا، فرج فوده .

---

(١) الإسلام والعلمانية (٥٧-٥٩) باختصار .

(٣)

هل للعلمانية

في العالم الإسلامي مبرر؟

٣- هل للعلمانية في العالم الإسلامي مبرر؟

يقول الدكتور / سفر الحوالي :

العلمانية فكرة مستوردة لا يشك في ذلك أعداؤها ، ولا يماري فيه أحدٌ من دعاتها ، ومعنى ذلك بداهة أنها ليست من صميم الإسلام ، ولا هي من إنتاج المنتسبين إليه ، ولذلك وجب قبل كل شيءٍ أن ننظر إليها نظرتنا إلى أية بضاعة مستوردة ، من جهة حاجتنا إليها أو عدمها ، فما لم نكن بحاجة إليه ، فإن المفروض فينا باعتبارنا عقلاء أن نميز ونختار ، ونأخذ أخذ الواعي الحذر .

وبتطبيق هذه البدهية على العلمانية نجد أنها بضاعة نحن في غنى تام عنها ، أي أن من الحمق والغباء أن نستجلبها .

إن العلمانية رد فعل خاطئ لدين محرف ، وأوضاع خاطئة كذلك ، وإنها نبات نكد خرج من تربية خبيثة ، ونتاج سيء لظروف غير طبيعية .

فأوربا نكبت بالكنيسة وديانتها المحرفة ، وطغيانها الأعمى ، وسارت أحقابًا من الدهر فتعثر في ركابها ، ثم انتفضت عليها وتمردت على سلطتها ، فانتقلت إلى انحراف آخر ، وسارت في خط مضاد ، إلا أنه أعظم خطرًا وأسوأ مصيرًا .

انتقلت من جاهلية تلبس مسوح الدين إلى جاهلية ترتدي مسوح التقدم والتطور ، وهربت من رجال الدين والإقطاعيين ، فوقعت في قبضة الرأسماليين وأعضاء الحزب الشيوعي [١] .

إذا كان هناك عذر لوجود العلمانية في الغرب ، فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين ؛ لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي لا ينزعج كثيرًا ولا قليلًا ؛

---

(١) وباء العلمانية (٥٤) مكتبة منار السبيل ومكتبة منار العلماء .

لأنه لا يُعطل عليه قانون فرضه عليه دينه، وليس في دينه ما يُعتبر منهجًا للحياة، أما مع المسلم فالأمر مختلف حيث يوجب عليه إيمانه الاحتكام لشرع الله.

فإنه إذا انفصلت الدولة عن الدين، بقي الدين النصراني قائمًا في ظل سلطته القوية الفتية المتمكنة، وبقيت جيوش من الراهبين والراهبات والمبشرين والمبشرات تعمل في تطبيق المنهج التجريبي ونشر العلوم [1].

ويقول الدكتور القرضاوي:

لا يتصور للعلمانية أن تنجح في بلد؛ لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام الذي تدين به الشعوب المسلمة، ومناقضة لمفاهيمه وسلوكه وتاريخه، ولا يوجد أي مبرر لقيامها، كما وجد ذلك في الغرب النصراني.

كل ما تفعله العلمانية أنها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها، والأمة لا تستجيب لها، حيث ترفض أجهزة المناعة في كيانها زرع هذا الجسم الغريب في داخلها، وتقاومه بكل قوة، فينشأ بين الحكم العلماني وبين الأمة المسلمة صراع، يظهر حينًا ويختفي أحيانًا، ويمتد يومًا وينكمش يومًا آخر، ولكنه صراع باقٍ مستمر؛ لأنه صراع بين الذات، وبين العدوان على الذات.

وأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانية ونفذت فيه خططها، وضربت بيد من حديد كل من يقاومها وخاضت في ذلك بحرًا من الدم هو: تركيا بلد الخلافة الإسلامية الأخيرة الذي قهره «أتاتورك» على تطبيق النموذج الغربي في الحياة كلها، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتعليم والثقافة، وسلخه من تراثه وقيمه وتقاليده كما تسلخ الشاة من جلدها، وأقام دستورًا لا دينيًا، يعزل الدين عن الحياة عزلًا كاملًا، قامت على أساسه قوانين مجافية للإسلام كل المجافاة، حتى في شئون الأسرة والأحوال الشخصية،

---

(١) موقع وحي السماء.

فهل استطاع أتاتورك وخلفاؤه من بعده، ومعهم الدستور والقوانين والتعليم والإعلام والجيش والشرطة ومن ورائهم الغرب بكل جبروته وقوته أن يجتثوا جذور الأفكار الإسلامية والمشاعر الإسلامية والتطلعات الإسلامية من حياة الشعب التركي المسلم؟

الواقع الذي يشهده كل من زار تركيا في السنين الأخيرة تشهد به المساجد المزدحمة بالمصلين من كل الأجيال، وتشهد به المدارس القرآنية التي تُعدُّ بالآلاف، وتشهد به معاهد الأئمة والخطباء، ويشهد به انتشار الكتب الإسلامية ويشهد به حال الأتراك الذين يعيشون في ألمانيا وغيرها من بلاد أوربا، هذا الواقع يقول: لا وألف لا [1]، وهذا الكتاب صدر قبل النهضة المعاصرة الإسلامية والحضارية لتركيا في عهد أردوجان، وكلما تخلصت تركيا من علمانيتها كلما انطلقت في الحضارة، وكذا الريادة في سياسة العالم، وهذا يدل على فشل العلمانية في بلاد الإسلام فليبشر دعاة العلمانية، والذين يخرجون على شاشات الفضائيات وفي الصحف والمجلات، والذين ينفقون الملايين لنشر العلمانية في بلاد المسلمين: ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦]، أسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يذل الكفر والكافرين.

وإذا كانت الكنيسة وقفت موقف العداء من العلم والعلماء في أوربا، فإن الإسلام لم يقف موقف العداء في الشرق الإسلامي من العلم والعلماء.

يقول «الفرد هوايت هيو»: (ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم، والخطأ حليف الدين)، وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت في أوربا فهو قول مردود ولا يصح بحال فيما يخص الإسلام، حيث لا تعارض إطلاقًا بين الإسلام وبين حقائق العلم، ولم يقم بينهما أي صراع كما حدث في النصرانية، وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الإسلام: «ما أُمر بشيءٍ فقال

(١) الإسلام والعلمانية (٦٠ - ٦١).

العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شيءٍ فقال العقل ليته أمر به » .

وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية ، وقد أذعن لـذلك صـفوة من علماء الغرب ، وأفصحوا عن إعجـابهم وتـصديقهم لتلـك الحقيقـة في مئـات النصوص الصادرة عنهم .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي تحت عنوان «العلمانية مبدأ مستورد» :

والعلمانية من ناحية أخرى مبدأ مستورد ضد أصالتنا وسيادتنا ؛ لأنها مبدأ مستورد من خارج أرضنا ومن قوم غير قومنا ، لهم تاريخ غير تاريخنا ومفاهيم غـير مفاهيمنـا ، وقيم غير قيمنا ، وعقائد غير عقيدتنا ، وقوانين غير شريعتنا ، وأوضاع غير أوضاعنا .

إنهم احتاجوا إلى العلمانيـة لظـروف خاصـة بهـم ، ونحـن لا حاجـة لنـا إلى العلمانية ؛ لأنها كانت حلًا لمشكلهم مع كنيستهم ، وهي عندنا تكون مشكلا في ذاتها .

والعلمانيـة لا تـصادم عقيـدتهم ولا شريعـتهم ، ولا تعـارض أحكامًـا إلهيـة مفروضة عليهم من ربهم ، ولكنها عندنا تصادم العقيدة التي من مقتضياتها النزول على حكم الله ورسوله ، وتعارض الشريعة التـي أنزلهـا الله منظمـة لحيـاة النـاس ، بوضع الأصول الضابطة لها ، والأحكام الهادية لمسيرتها .

والعلمانية عندهم لم تمحُ سلطة الدين ورجاله ، وإنما فـصلت بـين الـسلطتين الروحية والزمنية ، وتركت لكل منهما مجالها ونفوذها وحرية تحركها ، وقـد بقيـت هناك سلطة الكنيسة تمارس نشاطها بما تملك من مال ورجال وسلطان .

أما نحن ، فليس لنا سلطة دينيـة مـستقلة مقتـدرة ، فالعلمانيـة عنـدنا تعنـي تصفية الوجود الإسلامي ، بحيث لا يبقى له قدرة ولا سلطان ، ولا حرية ما لم يكن خادمًا للسلطة السياسية القائمة [1] .

---

(١) الإسلام والعلمانية (٩٨) .

(٤)

كيف يعرف العلماني ؟

﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ [محمد: ٣٠]

٤- كيف يعرف العلماني ؟

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣]

قال الأستاذ خليفة بن إسماعيل ما ملخصه :

◈ تجده يؤمن بوجود إله (١) ، لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان ، كما يعتقد بأن الحياة تقوم على أساس العلم التجريبي المطلق .

◈ تجده يعتبر القيم الروحية التي تنادي بها الأديان والقيم الأخلاقية بأنواعها هي قيم سلبية ، يجب أن يتم تطويرها أو إلغاؤها .

◈ تجده يطالب بالإباحية كالسفور والاختلاف بين الجنسين في الأماكن العامة والخاصة ويحبذ عدم الترابط الأسري .

◈ تجده يطالب بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية ، وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الحكم ، وأن الدين للعبادة فقط دون تدخل في شئون الخلق ، وتنظيمها كما أراد الله ﷻ .

◈ تجده يصرح باطلًا بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة ، وأنه يدعو إلى التخلف ، لأنه لم يقدم للبشرية ما ينفع ويتناسى عن قصد الأمجاد الإسلامية .

◈ تجده يعتقد أن الأخلاق نسبية ، وليس لها وجود في حياة البشر ، وإنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية ، وهي من صنع العقل الجماعي ، وأنها تتغير على الدوام وحسب الظروف .

◈ تجده يعتقد بأن التشريع الإسلامي والفقه وكافة تعاليم الأديان (٢)

---

(١) يقصد بالعلماني المعتدل غير الملحد المنكر لوجود الله ﷻ .

(٢) الأولى أن يقول «الشرائع» لأن الدين واحد ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

السماوية الأخرى ما هي إلا امتداد لشرائع قديمة ، أمثال القانون اليوناني ، وأنها تعاليم عفى عليها الزمن ، وأنها تناقض العلم ، وأن تعاليم الدين وشرائعه لا يستفيد منها المجتمع .

◈ تجده حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ، ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الدينية على الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الدين فقط .

◈ تجده يعتبر أن مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر إفسادًا للروح العلمية [1] ، ومبررًا لطرح النتائج العلمية ، واعتبارها غير ذات قيمة ، حتى ولو كانت صحيحة علميًا .

◈ تجده يعتبر أن قمة الواقعية هي التعامل بين البشر دون قيم أخلاقية أو دينية ؛ لأنها في اعتقاده غير ضرورية لبناء الإنسان ، بل إنها تساهم في تأخيره ، وأن القيم ما هي إلا مثالية لا حاجة للمجتمع بها .

◈ تجده يعترض اعتراضًا شديدًا على تطبيق حدود الله في الخارجين على شرعه كالرجم للزاني ، أو قطع اليد للسارق ، أو القتل للقاتل ، وغيرها من أحكام الله ، ويعتبرها قسوة لا مبرر لها .

◈ تجده يطالب ويحبذ مساواة المرأة بالرجل ، ويدعو إلى تحررها وسفورها ، واختلاطها بالرجال دون تحديد العمل وليحفظ كرامتها كأنثى .

◈ تجده يحبِّذُ أن لا يكون التعليم الديني في المدارس الحكومية إلزاميًا بل اختياريًا .

---

(١) ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

◈ تجده يتمنى تغيير القـوانين الإسـلامية بقـوانين علمانيـة كالقـانون المـدني السويسري ، والقانون الجنائي المعمول به في إيطاليا ، والقانون التجـاري الألمـاني ، ويعتـبر أن تلـك القـوانين هـي الأفيـد في حيـاة الفـرد والمجتمـع مـن التنظـيم الإسلامي [١] .



(١) كتاب كيف تعرفهم (موقع وحي السماء) .

(٥)

كيف دخلت العلمانية

بلاد المسلمين ؟

٥- كيف دخلت العلمانية بلاد المسلمين ؟

إذا كانت العلمانية ولدت في أوربا الكافرة نتيجة الثورة على تسلط الكنيسة ومحاربتها للعلم والعلماء ، فكيف راجت هذه الفكرة الخبيثة في بلاد المسلمين ، مع اختلاف الظروف ، والفرق بين الإسلام والنصرانية ، واستغناء المسلمين بدينهم ونظامهم ، وكيف تسوَّل المسلمون العلمانية وهم الأغنياء ، ولماذا تطفلوا على موائد اللئام ! وهم الكرماء الشرفاء ، هم خير أمة أخرجت للناس .

فالجواب : لقد دخلت العلمانية بلاد المسلمين لأسباب عديدة ، يمكن إيجازها فيما يلي :

١- انحراف كثير من المسلمين عن دينهم وعدولهم عن سلوك الصراط المستقيم ، واتباعهم هوى النفس فيما يخالف شراع الله ﷻ ، والعلمانية توافق أهواء الناس لأن فيها انسلاخًا من الدين واتباعًا للشياطين فهي تُروج للتبرج والاختلاط ، وعدم التقيد بالشرائع السماوية ، والأخلاق الكريمة .

٢- الانبهار بالحضارة الغربية الزائفة ، مع الجهل بما هم فيه من فساد وإباحية وشقاء وانتحار ومخدرات ، فقد صاحب التقدم الصناعي الشقاء النفسي ، وتقطع الأرحام ، وهدم النظام الأسري فبئس التقدم الذي يصحبه هذا الشقاء .

٣- جهل أكثر المسلمين بدينهم ، وأن الإسلام هو الاستسلام الكامل لله ﷻ ، وظنهم أن الإسلام مجرد طقوس وعبادات ، وأن من قَبِل الإسلام عقيدة ولم يقبله شريعة لا يشك في إسلامه ، وكأنه بالخيار في قبول الشريعة الإسلامية أو القوانين الوضعية ولم يفطنوا أن الرضا بالكفر كفر وأن رفض الشريعة كفر .

٤- التحالف اليهودي الصهيوني ، وما نجم عنه من الاستعمار الذي كان

من آثاره ترك أذناب لهم في بلاد المسلمين ، وفرض القوانين الوضعية في بلادهم ، فصار كأن الطبيعي هو التحاكم إلى القوانين الوضعية ، والغريب هي المطالبة بالتحاكم إلى الشريعة الإسلامية فصار الحق باطلًا والباطل حق.

٥- اشتغال المسلمين بالدنيا ، وتخليهم عن رسالتهم الخالدة ، وهي قيادة البشرية وهدايتها والدعوة إلى الله ﷻ .

٦- التقليد الأعمى للغرب الكافر ، كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ؟؟ لـدخلتموه** » ، قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال : « **فمن** » .

وانطبق عليهم مثل الحمارين ، الحمار الذي يحمل الملح ، والحمار الذي يحمل الإسفنج ، **فعندما تخلصت أوربا من الكنيسة انطلقت في الحضارة المادية المعاصرة** ، ولكن المسلمين إذا عادوا الدين تخلفوا ، وإذا عملوا به انطلقوا كما انطلقوا في الحضارة الإسلامية ، فالمقلد تقليدًا أعمى ، لم يعرف الفرق بين الإسلام والنصرانية .

٧- الهزيمة النفسية التي حلت بكثير من المسلمين لتخلفهم عن الحضارة المادية وانبهارهم بالحضارة الغربية ، وقلة علمهم بتاريخهم وحضارتهم .

٨- توسيد الأمر إلى غير أهله في كثير من بلدان المسلمين ، حيث تمكن كثير من عملاء الغرب من الوصول إلى سدة الحكم ، وتولى المناصب المهمة في الدولة ، ومنهم من هو محتك عقليًا كطاغية ليبيا القذافي ، أو طائفي علوي بعثي كبشار الأسد ، ومنهم من هو علماني مَصلحي غبي كحسني مبارك ، وبالإعلام الكاذب يمجد هؤلاء كأنهم زعماء مصلحون ، وهم حماة العلمانية ، وأيدي وأرجل الغرب الكافر في إدخالها بلاد المسلمين .

٩- التضييق على العلماء والدعاة ، والزج بهم خلف الأسوار ، أو منعهم من نشر دعوتهم لتبين الإسلام الحق ، الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ ، وهو يشمل الإسلام عقيدة وشريعة .

١٠- سفر كثير من أبناء المسلمين للبلاد الكافرة طلبًا للشهادات الدنيوية ، أو لجمع المال ، وروع كثير من هؤلاء الطلاب بالمبادئ العلمانية الباطلة وانتصارهم للغرب والترويج لهم في بلاد المسلمين .

١١- تمييع قضية الولاء والبراء عند كثير من المسلمين ، فلا فرق عندهم في المحبة والبغض بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

١٢- علماء السوء الذين يبررون موالاة الكفار ويسهلون لهم تضليل المسلمين وتجهيلهم ، وبدلًا من محاربة التبرج والاختلاط والربا والتحاكم إلى غير شرع الله ﷻ ، يبررون انحراف الناس ، ويحاربون الحجاب والبنوك الإسلامية كل ذلك باسم الدين ، فصاروا بذلك في صف العلمانيين خاصة الذين يتبوؤن المناصب الشرعية كشيخ الأزهر والمفتي ووزارة الأوقاف ، فبدلًا من أن يناصروا الدعوة والدعاة المخلصين إذا بهم في خندق العلمانيين والليبراليين .

١٣- القنوات الفضائية التي يملكها أو يديرها العلمانيون ، وكذا المواقع المشبوهة بالشبكة العنكبوتية ، والجرائد والمجلات العلمانية التي تروج لهذا الفكر الخبيث ، وفي المقابل تنفر الناس من الدين ، وتشوه الدعاة إلى الله ﷻ ، وقد كانت

أكثر القنوات والمواقع والجرائد والمجلات في العصر البائد من هذا الصنف، حتى ظهرت بحمد الله ﷻ القنوات الإسلامية والمواقع الإسلامية، والجرائد والمجلات، والباطل ينتفش في غياب الحق، ولكن الحق إذا ظهر ووجد من يحمله من الرجال، زهق الباطل وزال بإذن الله تعالى.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، وإذا تلاقى جند الشيطان مع جند الرحمن لابد أن ينتصر جند الرحمن.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣].



(٦)

الإسلام والعلمانية
لا يلتقيان

٦- الإسلام والعلمانية لا يلتقيان

لا شك أن العلمانية لا تستدعي في الحقيقة كثير جهد لبيان تناقضها مع دين الله (الإسلام) ، فهي من ذلك النوع من الاتجاهات والأفكار التي قال عنها علماؤنا قديمًا : إن تصوره وحده كافٍ في الرد عليه .

والإسلام والعلمانية طريقان متباينان ومنهجان متغايران .. طريقان لا يلتقيان ولا تقام بينهما فنظرة اتصال ، واختيار أحدهما هو رفض للآخر ، ومن اختار طريق الإسلام فلابد له من رفض العلمانية .

هذه بديهية من البديهيات التي يعد إدراكها فيما نحسب نقطة الانطلاق الصحيحة لتغيير واقع الأمة ، ويعد غيابها السبب الأول لبقاء هذه الأمة ألعوبة في يد العلمانيين يجرونها إلى الهلاك بكل مهلكة من القول والعمل ، ويزيدها غيًا كلما اتبعتهم في طريق الغي طريق العلمانية .

ولأن إدراك هذه البديهة على هذا القدر من الأهمية ، فلابد من التفصيل فنقول : نحن نرفض العلمانية لأنها :

١- تحل ما حرم الله :

إذا كانت الشريعة ملزمة من حيث المبدأ فإن داخلها أحكامًا ثابتة لا تقبل التغيير ، وأحكامًا عامة ثابتة ، ولكنها تقبل أن تدخل تحتها متغيرات ، ومن الثوابت التي لا تقبل التغيير ولا يدخل تحتها متغيرات : أحكام العبادات كلها ، والحدود وعلاقات الجنسين .

فماذا فعلت العلمانية بهذه الثوابت ؟

إن العلمانية تبيح الزنا برضا الطرفين ، والمتشدد فيها يشترط موافقة الزوج أو الزوجة ، والكثير منها يبيح اللواط للبالغين ، وكلها يبيح الخمر والخنزير .

وهكذا تبيح العلمانية الزنا وتهيئ له الفرص ، وتعد له المؤسسات ، وتقيم له الحفلات في الملاهي والمسارح .

وأما الربا فهو عماد الاقتصاد العلماني ، تؤسس عليه البنوك ، وتقدم به القروض ، ويدخل الناس فيه كرهًا ، ومن شاء فليراجع المواد (٢٦٦ ، ٢٣٣) من القانون المدني المصري ، والتي تنص على الفوائد والقواعد المتعلقة بها تلك المواد التي تحل بها العلمانية ما حرمه الله سبحانه بقوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] ، وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا الإسلام ، والتزموا الصلاة والصيام ، وكانوا لا يمتنعون عن الربا ، فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا ، فإذا كان هؤلاء محاربين لله ولرسوله ، فكيف بمن يقيمون للربا بنوكًا ، ويعطون للتعامل به الشرعية الكاملة .

وأما الخمر فإن النظم العلمانية تبيح شربها ، وتفتح المحلات لبيعها ، والتجارة بها ، وتجعلها مالًا متقومًا يحرم إهداره ، بل تُنشئ لإنتاج الخمور المصانع ، وتعطي على الاجتهاد في إنتاجها جوائز للإنتاج .

وهكذا فإن العلمانية تُحل شرب الخمر وبيعها وعصرها ، فتُحل ما حرم الله .. وتُحرم إهدارها والإنكار على شاربها ، فتُحرم ما أحل الله ، وليس هذا في الزنا والربا والخمر فقط ، أو في الحدود والتعزيرات فقط ، أو في مادة أو أكثر من مواد القانون الوضعي العلماني .. بل إن قضية تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله هي قضية النظام العلماني بأكمله ، وبجميع جوانبه المختلفة .

ولما كان عليك ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله كفرًا لمن فعله ومن قبله ، فلابد لنا لنبقى مسلمين من رفض هذا الكفر .. ورفض العلمانية التي تقوم عليه .

٢- كفر بواح :

العلمانية هي قيام الحياة على غير الدين ، أو فصل الدين عن الحياة ، وهذا يعني بداهة الحكم بغير ما انزل الله ، وتحكيم غير شريعته سبحانه ، وقبول الحكم والتشريع من غير الله ، ولذلك فإن العلمانية هجر لأحكام الله بلا استثناء ، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه ، وتعطيل لكل ما في الشريعة ، بل لقد بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تعطيل حكم الله ، وتفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة ، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان وعلل وأسباب انقطعت ، فسقطت الأحكام كلها بانقضائها .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القوانين والأحكام التي تعلو أغلب ديار الإسلام هي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها ، بل في بعضها ما ينقص الإسلام ويهدمه .

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٥٠] .

يقول ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج عن حكمه المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية السابق رحمه الله :

إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم بين العالمين ، والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله ﷻ : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] ، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلًا ، بل أحدهما ينافي الآخر ، فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار المسلمين مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب ، والناس إليها أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون ، وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحكمه عليهم ، فأي كفر فوق هذا الكفر ، وأي مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله بعد هذه المناقضة .

إن ما بد في حياة المسلمين من تنحية شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية البشرية القاصرة ، ورمي شريعة الله بالرجعية والتخلف ، وعدم مواكبة التقدم الحضاري والعصر المتطور ، إن هذا في حقيقته ردة جديدة على حياة المسلمين .

فالعلمانية التي تحكم بغير ما أنزل الله ليست معصية ، بل هي كفر بواح .. وقبول الكفر والرضا به كفر .. ولذلك فلا بد من رفض العلمانية لنبقى في دين الله ، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام .

٣- تفتقد الشرعية :

إن أكثر البلاد الإسلامية لا تحكم بشريعة الله ، ولكن يحكمها أناس يحملون أسماء إسلامية ، ويستعرضون أنفسهم بين الحين والحين في صلاة أو عمرة أو حج ، فتتوهم الجماهير أن لهم شرعية وهم لا يحكمون بما انزل الله ، فهل الحاكم إذا أبطل

شريعة الله كاملة ، واستعاض عنها بالشرائع الجاهلية ، هل تكون له شرعية ، وهل يكون له على الرعية حق السمع والطاعة .

بادئ ذي بدء نقول : أنه من المتفق عليه بين العلماء أن الإمام ما دام قائمًا بواجباته الملقاة على عاتقه ، مالكًا القدرة على الاستمرار في تدبير شئون رعيته عادلًا بينهم ، فإن له على الرعية حق السمع والطاعة ، ولكن هذا الحق في السمع والطاعة يكون في حدود طاعته هو لله ورسوله ، فإن عطل شرع الله فقد خرج عن طاعة الله والرسول ، ولم تصبح له طاعة على الرعية ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

وظاهر من البناء اللغوي للآية : أن الطاعة لله مطلقة ، وكذلك الطاعة للرسول ﷺ ، ولكن ليست كذلك الطاعة لأولي الأمر .

وقد أكد رسول الله ﷺ هذا المعنى فقال : « **اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله** » [رواه البخاري] .

وبناء على ذلك فإن ولي الأمر الذي يتصرف في شريعة الله بالإبطال أو التعديل أو الاستبدال لا تكون له شرعية ؛ لأنه فقد شرط توليته الذي يعطيه تولى الأمر ، وهو تطبيق شريعة الله ، أي سياسة الدنيا بالدين .

وهذا هو شأن العلمانية التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة ، ولذلك فأنظمة الحكم الآن في العالم الإسلامي أنظمة علمانية ، مقتبسة من النظم الغربية القائمة على مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وهذا المبدأ يعتبر خروجًا صريحًا على مبدأ معلوم من الدين بالضرورة ، وبالنصوص القطعية من الكتاب والسنة وإجماع

العلماء كافة ، وهو عموم رسالة الإسلام لأمور الدين وشئون الحياة ، وأن الإسلام منهاج حياة كامل ، ينظم سائر شئون المسلمين في ديارهم .

إن انعدام شرعية الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة ، والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلًا من الكتاب والسنة .. إن انعدام شرعية هذه الأنظمة هو بديهية من البديهيات ، وموقف المسلم منها يُتخذ في عبارة واحدة ، إنه يرفض هذه الأنظمة ، ويرفض الاعتراف لها بأي شرعية [1] .



(١) باختصار من تمزيق الأقنعة العلمانية لأبي عمار من الشبكة العنكبوتية .

(٧)

حكـم العلمانيـة

٧- حكم العلمانية

للعلمانية صورتان كل صورة منهما أقبح من الأخرى :

❑ **الصورة الأولى : العلمانية الملحدة :**

وهي التي تنكر الدين كلية ، وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ، ولا تعترف بشيءٍ من ذلك ، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان وجود الله ، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر مسيور لكافة المسلمين ، فلا ينطلي – بحمد الله – أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه ، وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف ، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ، ومعاداة المؤمنين ، وحربهم وإيذائهم بالتعذيب أو السجن أو القتل .

❑ **الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة :**

وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا ، لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الحياة ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ، وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يثبتون ما فيها من الكفار لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك .

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحدٌ بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين .

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله ﷻ، أو ذكر رسوله ﷺ أو ذكر الإسلام وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

والخلاصة أن العلمانية بصوريتها السابقتين كفر بواح لا شك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يجوز أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ، وقال تعالى مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام ورفض البعض الآخر : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥] .

والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيانه كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام ، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا مثل العلمانيين ، من فعل ذلك فلا شك في كفره .

والعلمانيون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، وأن حكم غيره أفضل من حكمه .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :

ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة –القوانين التي يسنها الناس – أفضل من شريعة الإسلام ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح

تطبيقه في القرن العشرين ، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين ، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى [١] .

ويقول الدكتور القرضاوي :

إن هذا المسلم الذي يقبل العلمانية أو يدعو إليها ، وإن لم يكن ملحدًا يجحد وجود الله ، وينكر الوحي والدار الآخرة قد تنتهي به علمانيته إلى الكفر البواح والعياذ بالله ، إذا أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة مثل تحريم الربا ، أو الزنا ، أو شرب الخمر، أو فرضية الزكاة ، أو إقامة الحدود أو غير ذلك من القطعيات التي أجمعت عليها الأمة ، وثبتت بالتواتر اليقيني الذي لا ريب فيه .

بل إن العلماني الذي يرفض مبدأ تحكيم الشريعة من الأساس ، ليس له من الإسلام إلا اسمه ، وهو مرتد عن الإسلام بيقين يجب أن يستتاب وتزاح عنه الشبهة ، وتقام عليه الحجة ، وإلا حكم القضاء عليه بالردة ، وجُرد من انتمائه إلى الإسلام ، أو سحبت منه الجنسية الإسلامية ، وفُرق بينه وبين زوجه وولده ، وجرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة [٢] .

وقال الشيخ عبد الله بن الجبرين في العلمانية :

طائفة وفرقة خرجت في هذه الأزمنة ، وتمكنت في الكثير من دول الإسلام ألا وهي فرقة العلمانية التي يظهر منها الحب والوئام لأفراد الأمة ، ولكنها تظهر أحيانًا خفايا تضمرها تنبئ عن حقد وشنآن للدين الإسلامي وتعاليمه ، وتتنكر للحدود الشرعية وللعبادات والمعاملات الدينية ، وتجعل جل هدفها المصالح والشهوات النفسية ، وترى عزل الدين عن الدولة ، وترمي المتمسكين به

---

(١) العلمانية وثمارها الخبيثة لمحمد بن شاكر الشريف (١٦-٢١) ط دار المدينة .

(٢) الإسلام والعلمانية (٧٣ ، ٧٤) .

بالتخلف والجحود والتأخر ، ولا شك أن هذه الطائفة أخطر على الأمة من المنافقين الأولين ، ومن كل الطوائف المنحرفة .

قلت وصف العلمانيين الذين لا يجهرون بالإلحاد ، وبأن الإسلام لم ينجح شريعة ، ولكنهم يصلون ويصومون ويحجون ويعتمرون بالنفاق ، أولى من الحكم عليهم بالكفر ؛ لأن الله ﷻ وصف الذين يصدون عن حكم الله ﷻ بالنفاق فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١] ، وهم في الغالب يجهلون أن رفض الشريعة كفر ، فلا يمنع هذا أن نحكم على الفعل بالكفر ، ولكن المعين يحتاج إلى إثبات أنه ليس جاهلًا أو متأولًا ، أو ضعيف العقل ، خاصة وأن كثيرًا منهم ينزعج إذا وصف بالكفر ، ولكنه في الواقع يجهل أن هذه المذاهب كفرية أو أنها تضاد الإسلام ولا تجتمع معه ، وإذا تبين لهم ذلك قد يتوبوا منها ، ويثوبوا إلى دينهم ، فنحن ندعوهم إلى الدراسة والعلم ، ثم ندعوهم إلى التوبة إلى الله ﷻ ، والتعزز بالدين ، واتباع الشرع المتين ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .



(٨)

العلمانية منبـع الجهل

٨- العلمانية منبع الجهل

يقول الأستاذ عيد الدويهيس ما ملخصه :

عندما أقول إن العلمانية منبع الجهل ، فهذه حقيقة فكرية أساسية يجب أن يعرفها كل من يبحث عن الحقائق ، وقد يقول قائل : كيف تتهم العلمانية بأنها منبع الجهل وهي التي تدعو للاعتماد كليًا على العقل ، وتدعو للقراءة والتفكر والنقاش ، وأقول إن استخدام العقل على الطريقة العلمانية يوصل للتناقض والحيرة والضياع ، أي الجهل أي الفشل في الوصول على الحقائق ، أما القراءة والتفكير والنقاش فلن يؤدون إلى حقائق ، بل هذا يعتمد على نوعية ما نقرأ ، والطريق الصحيح في النقاش وإلا فستكون النتيجة هي الجدل والنقاش البيزنطي ، وإذا أخذنا الموقف العلماني من كل القضايا الفكرية الأساسية وجدناه مشوهًا ، ولا يوصلنا إلى الحقيقة ، فإذا قلنا : هل الله موجود أم لا ؟ قال بعضهم : نعم موجود ، وقال آخرون : لا غير موجود ، وقال فريق ثالث : أنا أشك في وجوده ، فهم بين الإيمان والإلحاد والشك ، ولست أنا وحدي من يتهم العلمانية بالجهل ، فالعلماء يتهمون بعضهم بالجهل ، فكل واحد منهم يتهم من يناقضونه الرأي بأنهم على خطأ – أي جهل – فالعلمانيون يتناقشون ويتكلمون ، ولكنهم لا يتفقون على حقائق فكرية بل يتناقضون ، بل هم لم يتفقوا على حقيقة فكرية واحدة ،مع أن العلمانية لها أكثر من ثلاثة قرون تقرأ وتتأمل وتبحث وتناقش ، بل منذ آلاف السنين من أيام الفلاسفة القدماء وهم لم يتفقوا على حقيقة واحدة ، وهذا يعني أنه لا يوجد عندهم علم فكري ، ولا يوجد حقائق فكرية فكل شيءٍ خطأ ، وفي نفس الوقت كب مبدأ أو فكرة أو رأي تجد له مؤيدين منهم ، فأي شيءٍ بإمكانه أن يكون صوابًا وحقًا ، حتى لو كانت فكرة سخيفة ، وكل شيءٍ بإمكانه أن يعتبر خطأ أو

باطلًا ، حتى لو كان حقيقة فكرية عظمى تسندها الأدلة العقلية ، كوجود الله ﷻ ، وكصدق الأنبياء ، فمن البديهيات أنه لا يوجد فكر علماني ، بل توجد مبادئ وآراء كثيرة ومتناقضة من الرأسمالية إلى الشيوعية إلى غيرها من المبادئ ، ولا يوجد وهذه قضية مهمة عقل بشري واحد ، بل توجد عقول بشرية كثيرة ، فهناك عقل رأسمالي ، وعقل شيوعي ، وعقل نازي ، وعقل اشتراكي ، وعقل انتقائي .. إلخ ، فعندما قالت لنا العلمانية اتبعوني وسأوصلكم بالعقل للحقائق الفكرية ، وجدنا أنها لم توصلنا إلى حقائق بل إلى آراء ، ووجدنا أن هناك أكثر من عقل بشري ، وكل عقل يعتبر نفسه الواعي والذكي ، وكما قيل : «كلٌّ بعقله راض» ، كما أن العلمانية لم تعطنا نظامًا اقتصاديًا متكاملًا ، بل أعطتنا أنظمة اقتصادية متناقضة رأسمالية ، وشيوعية ، واشتراكية .. إلخ ، وهذا ينطبق أيضًا على النظام الاجتماعي والسياسي والتربوي .. إلخ ، وإذا لم توصلنا العلمانية إلى أنه لا توجد حقائق فكرية ، فهذا قمة الجهل ، وقمة الضياع ، وقمة التخلف ، فإذا كان ما يوجد هو آراء وليس حقائق ، فمعناه لا يوجد علم ولا يوجد جهل ، وهذا هو الجهل بعينه ، وبالتأكيد أن الجهل لم يحلم في تاريخه الطويل بأن يتساوى مع العلم ، وهذا هو ما وصلت إليه العلمانية .

فهناك خطأ أن أولهما الهروب من قضايا كبرى اهتم بها الإنسان وعجزت عنها العلمانية والفلسفة ، والشيء الثاني أن هذه القضايا ذات أهمية عملية عظمى فالإيمان بالله والعقائد الدينية تترجم إلى أعمال وعبادة وجهاد وأنظمة فكرية وسلوك وأحزاب وجماعات ودول وأخلاق ومعاملات وشعارات وحرب وسلام ، وهذه أمور يعرفها كل إنسان ، حتى لو لم يكن مؤمنًا بوجود الله ، ولكن العلمانية لها أساليب وآراء في تشويه الحقائق الفكرية خدعت بها كثيرين ، وللأسف فأحيانًا

تقول : إن القضايا الإيمانية ليست لها علاقة في الحياة الدنيا بل فقط بالحياة الآخرة ، وأحيانًا تقول : لا علاقة للدين بالسياسة وأحيانًا تقول : لا نحتاج الدين في حياتنا .. إلخ ، وهذا من أساليب نشر الجهل واتباع الأوهام والظن ، وليت كل العلمانيين والفلاسفة يعترفون كما اعترف سقراط حين قال : إنني جاهل ، وأعرف أنني جاهل ... وأما هم فجهلة ويجهلون أنهم يجهلون .

هم ليست لهم الكفاية لمعالجة الأسئلة المقلقة في حين أن أهل الإسلام يقولون عكس ذلك ، فهم لديهم إجابات معروفة ، وأدلة عقيلة ووضوح ونور وهداية وعلم وبصيرة وحكمة .

قال ﷻ : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ [الرعد: ١٩-٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] .

فما أنزل الله ﷻ هو الحق ، أي الحقائق الفكرية التي تجيب على الأسئلة المقلقة وغيرها مما يحتاجه البشر ، وسنداعب العلمانيين قليلًا لنقول : إن أغلبكم وليس جميعكم مقتنعون ، ومتفقون على قضية واحدة ، وترون أنها صواب وحق ، وهي أن من يريد الحقائق والعقل فليبتعد عن الأديان السماوية فلا يوجد فيها حقائق ، ونقول لهم : إن هذه الحقيقة الفكرية الوحيدة عندكم هي أيضًا خاطئة ، فالإسلام هو منبع العلم الفكري والحقائق ، وأنتم أخذتم تبحثون في مكان آخر ولهذا ضعتم وجهلتم ، ومشكلتنا مع العلمانية ليست فقط أنها منبع الجهل الذي أصاب العالم خلال الثلاثة قرون الماضية ، بل أيضًا إنها حتى هذه اللحظة لم يقتنع العلمانيون بجهلهم ، قال أحد علماء المسلمين : ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل ، قيل : هل تعلم يا أبا محمد معصية أعظم من ذلك ، قال : نعم الجهل بالجهل ، فمن لا يعرف

الحقائق الفكرية هو أعمى فكريًا ، ومن لا يعرف أنه أعمى فكري فهو أعمى مركبًا ؛ لأنه لم يدرك جهل وجنون العلمانية .

فالعلمانية هي التي لوثت الحقائق الفكرية ، وضربت العلم الفكري بالصميم ، وفتحت الأبواب الواسعة للجهل ليتكلم وينتج الآراء والفلسفات والعقائد الباطلة ، ويبني الأنظمة والأحزاب لتختلف وتتصارع وتملأ الأرض جهلًا وشرًا وظلمًا وضياعًا وتفككًا ، فالجهل هو أعدى أعداء الإنسان ، وهو منبع الانحرافات والشر والظلام ، ولكن العلمانية ألبسته ثوبًا عقليًا وعلميًا مزورًا ، فإذا كان الجهل سائدًا فإن هذا معناه بناء الأنظمة والعقائد والعقوبات والأعمال على أسس خاطئة وباطلة .

قال ابن القيم رحمه الله : فيا لله العجب ، كيف تستباح الفروج والدماء والأموال والحقوق وتحلل وتحرم بأمر أحسن أحواله وأفضلها لا أدري .

فمع اعتراف الفلاسفة والعلمانيين بالضياع والحيرة والتناقض ولا أدري إلا أنهم شرعوا الدساتير والقوانين ، ووزعوا الحقوق والواجبات ، وادعوا العلم والتقدمية والحضارة .

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاه اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

وقال ابن القيم رحمه الله : إن كل صفة مدح مدح الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته ، وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته .

وأقول : البناء العلمي الفكري الـصحيح في العقائـد والأنظمـة والدسـاتير والقوانين والحياة الزوجية والجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية هو الذي يحقـق العدل والحرية والسعادة والمساواة والحب والتواضع ، وإنـسان بـدون حقـائق فكريـة (علم فكري) كم يريد بناء مصنع معقد ومتطور بدون حقائق مادية وعلم مادي .

ونقول بأعلى صوتنا إن العلم الفكري هو الأساس في تحديد المعنى الصحيح للحرية والعبادة والعدل والعقيدة الصحيحة ، وهو يحـدد لنـا مـن الأحـرار ومـن العبيد ، ومن الدولة العادلة ومن الدولة الظالمة ، ومن الـواعي ومـن الجاهـل ، ألم يقل الإمام علي رضي الله عنه : « اعرف الحق تعرف أهله » .

وقال الإمام رحمه الله : الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعـام والـشراب ؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مـرتين وحاجتـه إلى العلـم بعـدد الأنفاس [1] .



(١) عجز العقل العلماني لعيد الدويهش باختصار (٤٣-٤٧) الشبكة العنكبوتية .

(٩)

العلمانية

كارثة الأمة

٩- العلمانية كارثة الأمة

كتب «الفلاح المعتصم» على موقع المسلم :

الحمد لله الحي القيوم ، عالم السرائر ودقائق الضمائر الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، والصلاة والسلام على الصادع بالحق المعلوم ، وناصر المظلوم .

أما بعد :

فهذا نذير من كسير ، وبيان بلاء مستطير ، منه براءة ذمتي ، وتحذير أمتي ، إنها مصيبة تأكل كل المصائب ، وحديث يطوي عنده كل حديث ، وتاريخ يُنسي الأمة كل تاريخ .

عدو لدود أعلن الإلحاد جماعات وآحاد ، واغتصب الأرض ، وانتهك العرض ، وأفسد البلاد طولًا وعرضًا .

داهم البلاد المغربية ، وأحكم وثاق الشامية ، واحتضن البلاد المصرية ، وأخذ بزمام كل دولة إسلامية شرقية كانت أو غربية ، وأقبل بعدده وعدته نحو الجزيرة العربية ، أرض الكعبة والآثار المحمدية .

يقول هذا العدو : مكة أساطير أولية ، وعرفات خرافات اختراعيه ، وتحكيم الشريعة عثرة الأمة الإسلامية ، وحرمات الله متع طبيعية .

وما جعلني أنسج أحرف هذه البيانات والتحذيرات إلا بعد ما وصلت جحافل هذا العدو إلى أراضي المقدسات ، وحول مأوى أفئدة المؤمنين والمؤمنات .

أيها القارئ الكريم لا أخفيك أن بيان هذه الرزية كلفني ساعات طويلة ، ومراجع ثقيلة ، وأخشى ما أخشاه أن تضعف العزيمة ، فتحرم الغنيمة ، بسبب عدم إكمال القراءة فتحصل الهزيمة .

أخي الحبيب ..

ما كتبت هذا إلا لتعلمه ، وما أتعبت نفسي إلا لتفهمه ، فكن معي لتنال الخير وتفهمه .

بليتنا ورزيتنا وعظيم مصيبتنا هي (العلمانية) .

قد نقول : أنا أعرف العلمانية كارثة الأمة ، أقول لك لا تتعجل لربما يجد ما لا يخطر ببالك وما لم يتصوره خيالك ، إنها دراسة مفصله مؤصلة بها تدرك حجم المصيبة ، وتتجسد لك صورة جلية ، يتبين لك أبعاد هذه الرزية

أبـــدأ بـــالله مـــستعينا راض بـــه مقـــدرًا معينـــا [(١)]



(١) فهذه مقدمة بحثه عن العلمانية ، أردت إثباتها في كتابي لما فيها من روح إيمانية عالية ، ولهجة صادقة في الغيرة على الحنيفية ، والتحذير من خطر العلمانية ، ولعلي أستفيد منه في بقية البحث ، والله المستعان .

(١٠)

الطرح العلماني

١٠- الطرح العلماني

ليست أساليب وطرائق العلمانيين في طرحهم للمبدأ العلماني واحدة ، بل هي متغيرة بحسب الزمان والمكان ، وهذه التغيرات قد تشمل أساليب الخطاب ، وقد تمتد إلى أساليب عرض المبدأ العلماني وهكذا ، فبينما تطرح العلمانية في قطر معين على أنها مضادة للدين ، تطرح في قطر آخر على أنها موافقة للدين ، وفي بلد ثالث تعرض فيه العلمانية ببطءٍ وحذر شديدين حتى لا تلفت الأنظار إلا بعد كونها واقعًا لا مناص منه .

لقد كان كثير من العلمانيين في بدايات هذا القرن الميلادي ، لا يتقربون إلى الدين وأهله ، وكانت شعاراتهم تتراوح بين القومية والشيوعية والاشتراكية ، ولكن حينما اشتد ساعد الصحوة وبدأ المسلمون يشعرون بقيمة دينهم بدأ العلمانيون بكافة أصنافهم بالتقرب إلى الدين ، ومحاولة إيجاد صيغة تجمع بين علمانيتهم ومقاصدهم الشخصية ، وبين استغفال الشعوب المسلمة والاستخفاف بها ، من خلال التظاهر بالمظاهر الإسلامية .

وكل هذا التعبير يدلنا على أن العلمانية ليست مقنعة كمنهج في العالم الإسلامي ؛ لأن المسلم مهما بلغ انحرافه يشعر بارتباط الإسلام بالحياة العامة ، ويشعر بكون الإسلام له سلطان على كافة أنحاء الحياة ومجالاتها ، ولهذا نجد المسلم الذي لم تفسد فطرته ، لا يفكر في إمكانية الخروج عن شريعة الله ، ومن هذا المنطلق يرفض العلمانيون أن يستغنى الشعب في إقرار أو منع الدستور العلماني ؛ لأنهم يعرفون حتمية خسرانهم .

وهذه التغيرات تدلنا أيضًا على أن العلماني ليس له هدف سام ، وهو رفعة الوطن كما يقول ، بل هدفه هو الوصول لمصلحة شخصية والأمثلة على ذلك كثيرة

ممن كانوا معارضين لأنظمتهم الحاكمة ، ثم حينما اشتريت مبادئهم بمنصب ودخل مادي انقلبوا مدافعين عن تلك الأنظمة : ويمكننا تقسيم أساليب الطرح العلماني إلى طرح مكشوف آخر ملتوٍ مموه .

١- الطرح الصريح :

وهذا الأسلوب هو أسلوب العلمانيين الأقحاح الذين يستطيع المرء أن يصفهم بالغلو العلماني بلاد تردد لصراحتهم حول هذا المبدأ ، وهؤلاء أمنوا العقوبة ؛ لأنهم في بلد تحكمه العلمانية والشرائع الجاهلية التي تسمح لهؤلاء بالانتقاص من قدر الدين ، والتعدي عليه ، في حين تكمم أفواه الدعاة ، والذين يريدون الدفاع عن دينهم !!

ويرتكز هذا الطرح على ما يلي :

أ) مدح الغرب ، ودعوة الأمة إلى اللحاق بركبه ، والتأسي بتجربته في رمي الدين جانبًا ، وعزله عن الحياة ، وعن هذا يقول أحدهم تحت عنوان «درس النهضة الأوربية» ، وهكذا نستخلص من استيعاب درس النهضة وموقفها من التراث حقيقتين على أعظم جانب من الأهمية :

الأولى : هي أن من الممكن أن تقوم نهضة علمية فكرية رفيعة المستوى في مراحلها الأولى على أساس الرفض الحاكم للتراث ، وذلك حين يكون هناك انقطاع في التراث يمنع من استمراره في خط متصل حتى الحاضر ، وعندئذ لابد أن ترفع النهضة شعار «البدء من جديد» كعلامة على تحدي التراث .

والثانية : هي أن التقدم والتطور المستمرين في المعرفة يساعدان على الوصول إلى نظرة تاريخية إلى التراث ، يختفي فيها التناقض بين تمجيده ، والاعتراف بتخلفه .

ب) إدعاء علمانية الإسلام ، وأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية ؛ لأن الإسلام دين فرد لا دولة ، ويستدل هؤلاء بكتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرزاق وكتاب «الديمقراطية أبدًا» لخالد محمد خالد ، وخير مثال لهذا الادعاء كتاب العلمانية والدولة الدينية لشلبي العبسي .

ج) ادعاء عدم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنها نزلت في وقت معين ، وأنها لابد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد ، ولو كان في هذا تجاوز لأحكام ثابتة غير اجتهادية ؛ لأن المصلحة مقدمة على النص عندهم ، وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون فرديًا بالدين وشعائره ، وإن كان معظمهم لا يؤديها ، ويستدلون بأقوال هي إما المنحرفين كمحمد أحمد خلف الله ، وعلي عبد الرزاق ، أو أقوال شاذة لبعض القدماء كقوم نجم الدين الطوفي «إن المصلحة مقدمة على النص» .

فنجد هذا النص متكررًا في كتبهم ومقالاتهم ، ولم ينقل أحدهم القاعدة المشهورة «لا اجتهاد مع النص» ولم ينقل أحدهم قول أئمة الإسلام ، فيمن يحدد المصلحة .

د) التركيز على قضية المرأة وأنها مهانة في الإسلام ، وضرب الأمثلة والإطناب في ذلك إلى حد زعم وادعاء اللعب على المرأة في الشريعة الإسلامية .

هـ) جعل الثورة الإيرانية الشيعية هي المثال لكل حكم إسلامي وصحوة إسلامية ، بل إنهم يرددون في كتاباتهم مزاعم تصف العمل للإسلام والدعوة للعودة إليه والتمسك به بالسعي إلى إقامة طهران أخرى ، وهم بهذا يريدون أن يخوفوا الشعوب من الصحوة الإسلامية ويحاولوا الصد عن دين الله .

و) نقد الصحوة الإسلامية ومظاهرها والسخرية منها ، والتعرض بالنقد

اللاذع لرموزها من العلماء والدعاة ، وكل ذلك كما أسلفنا محاولة لإجهاض هذه الصحوة ، أو بث الوهن فيها وتفريق الناس من حولها ، ولكنهم خابوا وخسروا .

٢- **الطرح المموه :**

وأهل هذا الأسلوب غاية في الحذر والمكر ، فهو يدعون الإسلام ويتباكون على حال المسلمين حتى يلتبس أمرهم على طالب الحق فلا يستطيع تمييزهم ، ولكنهم يعرفون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة ، وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة ، وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر ، أو استياء شديد عند حصول نصر للإسلام ، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبئ بما يخفون ، وبهذا يتبين انتماؤهم ومنهجهم .

وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي ، يعيش في بلد ترتفع فيه راية الدين ، فلا يمكن له التصريح بمذهبه خشية من العقوبة الرسمية ، أو خشية العقوبة الشعبية ، كرفض الشعوب له ، وسقوط مصداقيته ، ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي :

(أ) الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد ، والإلحاح على ذلك ، وحشد النصوص والنقول الشاهدة على ذلك ، ثم تمتد هذه الدعوة إلى الاجتهاد في ثوابت الدين ، وتمتد إلى تجديد أحكام مجمع عليها ، وإلى الحث على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي ، على مدى أربعة عشر قرنًا ، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد ، ورفض أية وصاية – على حد زعمهم – يفرضها ذلك الإنتاج ، وعدم الاعتراف بكثير من شروط الاجتهاد التي وضعها السلف .

إن الدعوة إلى الاجتهاد في أصلها صحيحة ، لكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصل فيها علماء الأمة القول ، وبينوا أن المجتهد لابد له من الآلة ، وهي علوم الشريعة .

(ب) إدعاء أنّ المهم هو أساس الإسلام ورسالته المهمة في إصلاح النفوس وتزكيتها ، وتهذيب الأخلاق ، وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة وإقامة الحدود والجهاد وغيرها ، مما يؤدي الحس العلماني المرهف الذي يرضى بالشرائع الغربية والقوانين الوضعية التطبيقية ولا يهتم إلا قليلًا بنقل جدية الحضارة الغربية في العلم المادي .

ويحرص العلمانيون على احتقار المظاهر الإسلامية لأنها هي سمة المسلمين ، وبها يعرف المسلم من غيره في عصور ظهور الإسلام ، ولكن إذا فقدت هذه المظاهر أهميتها أصبح التمييز بين المسلم وغيره أصعب ، وهذه الإشكالية صحيحة أيضًا بالنسبة للعبادات والشعائر العامة ، وفي مثل هذه الأحوال يمكن للعلمانيين التحرك بحرية داخل المجتمع الإسلامي .

(ج) دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق : هذه الدعوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين فهم يرفعون هذا الشعار في كل مكان ويرفضون التمسك بالدين وبالذات في حكم المجتمع لأنه على حد ما يزعمون ويفترون يفرق المجتمع ويؤجج النزعة الطائفية .

بل يذهب العلمانيون في تنظيرهم إلى وجوب تطبيق العلمانية لتحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية .

ولست أدري هل عقل هؤلاء عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والتي استمرت لمدة تقرب من الأربعة عشر قرنًا ، وعاش في ظلها غير المسلمين أحسن من عيشهم في ظل دياناتهم ، مع أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلس لم يبقوا فيها مسلمًا واحدًا ظاهرًا إسلامه ، على عكس وضع كل الطوائف في الدولة المسلمة ، بل إن اليهود استمروا تحت حكم هذه الدولة الإسلامية على دينهم طوال هذه الفترة .

(د) القول بتغير الفتوى بتغير الزمان ، فالعلمانيون يذكرون هذه القاعدة في أكثر كتاباتهم ، ويلفون حولها ويدورون ويقيمون الحجج لها ، ونص هذه القاعدة عام في ظاهره فالتغير في الظاهر شامل للأحكام النصية وغيرها ، ولكن هذا العموم ليس مقصودًا ؛ لأنه اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس إنما هي الأحكام الاجتهادية فقط المبنية على المصلحة ، أو على القياس ، أو على العرف ، أو على السعادة ، وعلى ذلك فالأحكام النصية ثابتة لا تقبل التغيير ، ولا تدخل تحت هذه القاعدة ، وقد رأى بعضهم أن يكون نصُّ القاعدة «لا ينكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الزمان» دفعًا لهذا اللبس وهذا قيد حسن [(١)] .



(١) طرق الطرح العلماني ، د. عمر المديفر (١٧١-١٧٩) باختصار .

(١١)

العلمانية والعقيدة

١١- العلمانية والعقيدة

العلمانية إن قبلت عقيدة الإسلام نظريًا أو كلاميًا ترفض ما تستلزمه العقيدة من معتنقيها ، وما توجبه على أبنائها إيجابًا حتمًا بمقتضى الإيمان ، وذلك بين واضح في أمرين أساسين :

أولهما : رفضها اتخاذ العقيدة أساسًا للانتماء والولاء ، فهي لا تقيم للرابطة الدينية وزنًا بل تقدم عليها رابطة الدم والعنصر ورابطة التراب والطين ، وأي رابطة أخرى .

وهذا مناقض تمامًا لتوجيه القرآن الذي يقيم الأخوة على أساس الإيمان والعقيدة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ، ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ويجعل ولاء المؤمن قبل كل شيء لله ورسوله وجماعة المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦] ، ويلغي كل رابطة مهما يكن قربها وقوتها إذا تعارضت مع رابطة الإيمان ، حتى رابطة الأبوة والبنوة والأخوة يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣] .

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] .

ويضرب القرآن مثلًا بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي برئ من أبيه حين تبين له أنه عدو لله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤] .

وكذلك قال تعالى لنوح عليه السلام عن ابنه من صلبه لما تمرد على ربه: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود: ٤٦].

والأمر الثاني: أن العلمانية ترفض ما توجبه العقيدة الإسلامية على أبنائها، من النزول على حكم الله ورسوله، والتسليم لهما دون تردد أو حرج.

وهذا هو موجب الإيمان ومقتضى الالتزام بعقد الإسلام، وهو ما نطق به القرآن في بيان محكم صريح لا لبس فيه ولا تشابه، يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فالعقيدة الإسلامية تفرض على المسلم أن يكيف حياته وفقًا لأحكام التي تجسدها، وأن يتجلى أثرها في سلوكه وعلاقاته كلها، سواء كان حاكمًا أو محكومًا.

والعلمانية تريد من العقيدة أن تكون حبيسة الضمير، لا تخوض معترك الحياة، ولا تؤثر في أهدافها ومناهجها، فإن سمح لها بالظهور فليكن بين جدران المسجد ولا تخرج عنها، على أن يكون المسجد نفسه تحت سلطانها.

وبهذا ترى المسلم الذي يعيش تحت سلطان العلمانية يعاني من التناقض بين العقيدة التي يؤمن بها، والواقع الذي يفرض عليه فعقيدته تشرق وواقعه يغرب، عقيدته تحرم والعلمانية تبيح، عقيدته تلزم والعلمانية تعارض، وهكذا لا تعايش بين الإسلام الحقيقي والعلمانية الحقيقية، فهي كالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، أو ككفتي الميزان، لا ترجح إحداهما إلا بمقدار ما تخف الأخرى[1].

---

(١) الإسلام والعلمانية، د. يوسف القرضاوي (١٠٩-١١١) باختصار.

(١٢)

العلمانية والعبادة

١٢- العلمانية والعبادة

والعلمانية قد لا ترفض الإسلام باعتباره عبادة وشعائر يتقرب بها الإنسان إلى ربه ، بناء على أن ذلك جزء من الحرية الدينية ، ولكنها لا تجعل لهذه العبادة أهميتها باعتبارها غاية الحياة والمهمة الأولى للإنسان : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ولا تقيم نظامها التربوي والثقافي والإعلامي على غرس هذا المعنى ، وتثبيته وتعهده حتى يؤتي أكله .

ولا تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية تنظيمًا ييسر على المسلم أداء عبادته بغير عوائق ولا ضغوط ، بحيث لا تتعارض أنظمة العمل والدراسة وغيرها ومواقيتها مع مواقيت العبادة المفروضة .

وهي لا تجعل للالتزام بفرائض العبادات أو إهمالها مكانًا في تقديم الناس وتأخير وخصوصًا عند الترشيح لمناصب القيادة وجلائل الأعمال على أساس مقولة خاطئة : هي التفرقة بين السلوك الشخصي والسلوك الاجتماعي للإنسان ، وهو ما لا يقول به الإسلام .

وهي كذلك لا ترى المجاهرة بترك العبادات التي هي أركان الإسلام العملية شيئًا يوجب المحاسبة ، أو المؤاخذة بالعقوبة التي أجمع عليها فقهاء الإسلام فيمن يصر على ترك الصلاة أو منع الزكاة ، أو إفطار رمضان ، حتى أنهم اتفقوا على تكفير من ترك شيئًا منها استخفافًا بحرمتها ، أو إنكارًا لفرضيتها لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وهي كذلك لا تعتبر الزكاة – التي هي الركن المالي الاجتماعي من أركان

الإسلام جزءًا من نظامها المالي والاقتصادي والاجتماعي تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقهاء بواسطة «العاملين عليها» بل تعتبرها عبادة شخصية من شاء أداها وعليه عبء الضرائب الوضعية كاملًا ، ومن شاء أعرض عنها ولا حرج عليه ولا ملامة [1].



(١) الإسلام والعلمانية د. يوسف القرضاوي (١١٢-١١٣) .

(١٣)

العلمانية والأخلاق

١٣- العلمانية والأخلاق

ذلك هو موقف العلمانية من العقيدة ومن العبادة في الإسلام فما موقفها من الأخلاق التي جاء بها الإسلام .

ربما يبدو لأول وهلة أن العلمانية لا اعتراض لها على الجانب الأخلاقي في الإسلام ، بل لعلها ترحب به وتدعو إليه باعتبار أن الأخلاق هو قوام المجتمعات وعماد النهضات ، وأن الإنسان الذي هو محور التقدم وصانع التنمية ومنشئ الحضارة إنما تبنيه الأخلاق والفضائل الإنسانية الرفيعة ، ولم ينل بيت شعر قاله شاعر في عصرنا ما ناله بيت شوقي الشهير :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

هذا ما لا خلاف عليه – على وجه العموم – بين الإسلام والعلمانية .

ولكن عند التأمل والتحقيق تجد بينهما خلافًا أكيدًا في موضعين :

أولًا : في مجال العلاقة بين الجنسين حيث تتميز الأخلاق الإسلامية هنا عن أخلاقيات الحضارة الغربية التي يتبع سنتها العلمانيون شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع .

فالإسلام وإن كان لا يصادر هذه الغريزة ولا يعطلها أو يعتبرها في ذاتها قذارة ورجسًا ، بل يعبر على تصريفها في نطاق الزواج المشروع الذي به يجد كل من الزوجين السكينة والمودة والرحمة ، وبها تتكون الأسرة التي هي نواة المجتمع الراقي .

ويحرم الإسلام أي اتصال جنسي خارج هذه الدائرة ، ويعتبره من الزنا أو الشذوذ الذي يجلب سخط الله تعالى ، ويشيع الانحلال والفساد في المجتمع : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] ، كما يحرم الإسلام كل

الوسائل التي تنشر وقوع الفاحشة أو تغري بها أو تجرئ عليها ، ولهذا يربى المؤمنون والمؤمنات على العفاف والإحصان وغض البصر ، كما يوجب على المسلمة التزام الحشمة والوقار في الزيِّ والكلام .

والمشي والحركة : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ، ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

كما حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية ، وحرم عليها السفر وحدها بغير زوج ولا محرم وخصوصًا مع عدم الأمن .

هذه الأحكام والتوجيهات الإسلامية لا ترحب بها العلمانية المستغربة ، ولا ترى أن تقيد المجتمع الذي تحكمه بقيودها وأن تدع الحبل على الغارب للجنسين ليتصرفا كما يحلو لهما ، بناء على أن ذلك يدخل في نطاق الحرية الشخصية وهذا الموضوع من المحكات الأساسية التي تصطرع فيها العلمانية والإسلام ، فالإسلام يغلق – بقوة – الأبواب التي تهب منها رياح الفتنة من الأغنية الخليعة ، والصورة المثيرة والقصة المكشوفة ، والأزياء المغرية ، ويقاوم كل ألوان التبرج والإثارة والخلوة غير المشروعة ، ويجتهد في حل مشكلات الزواج ، وإزاحة العوائق من طريقه ، حتى يستغنى الناس بالحلال عن الحرام .

والعلمانية لا تنظر للأمر على أنه مشكلة تتطلب حلًا ، ولا ترى حرجًا من إتاحة الفرص لاستمتاع أحد الجنسين بالآخر كما تفعل المجتمعات المتقدمة اليوم ، وتنظر لموقف الإسلام هنا على أنه موقف متزمت متشنج ، وللدعاة الإسلاميين على أنهم «معقدون» يضخمون مسألة العلاقة الجنسية ، ويعطونها من المساحة أكثر مما ينبغي .

والإسلاميون لا ذنب لهم إلا أنهم يحلون ما أحل الله ، ويحرمون ما حرم الله ، ويوجبون ما أوجب الله ، ويقررون ما شرع الله ، وهل يسع مسلمًا صحيح الإسلام إلا هذا الموقف .

والموضع الثاني : أنهم لا يحبون أن يربطوا الأخلاق بالدين ، وإنما يريدون أن يقيموها على أساس فلسفي أو عملي بعيدًا عن الدين وترغيبه وترهيبه ، فالأخلاق الدينية عندهم في موضع الاتهام ، أما الأخلاق المدنية فهي أقوم قيلا ، وأهدى سبيلًا [١] .



(١) الإسلام والعلمانية (١١٤-١١٦) باختصار .

(١٤)

العلمانية والشريعة

١٤- العلمانية والشريعة

أما الجانب الذي تقف العلمانية ضده من تعاليم الإسلام بصراحة وقوة فهو الشريعة ، أعني الجانب التشريعي ، أو القانوني في الإسلام .

وقد يتساهل بعض العلمانيين فيدعون للإسلام التشريع المتعلق بالأسرة ، أو ما يسمى «الأحوال الشخصية» من الزواج والطلاق والميراث ونحوها ، على اعتبار أن هذه متعلقة بالحرية الدينية أو الشخصية للإنسان ، وهم حين يصنعون ذلك يعتبرونه مِنَّةً منهم على الإسلام .

فالعلمانية الأصلية لا تسمح للإسلام بأي مساحة في التشريع ، ولو كان ذلك في الأحوال الشخصية ، فالدين مكانة عندها – الضمير أو المسجد فحسب ، وقد رأينا علمانية أتاتورك والعلمانية في البلاد الإسلامية تطرد التشريع الإسلامي في كل المجالات ، حتى في الأحوال الشخصية ، لهذا حرمت الطلاق ، وتعدد الزوجات وسوت بين الأبناء والبنات في الميراث ، مخالفة بذلك قطعيات الشريعة ، وما علم من الدين بالضرورة .

وفي بعض البلاد العربية في الشمال الإفريقي رأينا بعض العلمانيات الحاكمة تقلد العلمانية الأتاتوركية في الزواج والطلاق ، وأوشكت أن تقلده في قانون الميراث لولا ضغط الرأي العام .

ترى العلمانية أن التشريع للمجتمع من حقها هي ، وليس من حق الإسلام أن يحكم ويشرع ويحلل ويحرم ، أي أنها تغتصب حق التشريع المطلق من الله الخالق ، وتعطيه للإنسان المخلوق .

والعلمانية بهذا تجعل الإنسان ندًا لله الذي خلقه ، بل هي بهذا تعلي كلمة الإنسان على كلمة الله ﷻ ، فهي تمنحه من السلطة والاختصاص ما تسلبه من الله

سبحانه ، وبهذا يصبح الإنسان «ربًا» يحاكم بما يريد ويأمر بما شاء .

وقد تعترف العلمانية لله في هذا الكون بالخلق ، ولا تعترف له بالأمر ، والإسلام يقوم على أن لله الخلق والأمر جميعًا : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وإذا تسامحت الشريعة واعترفت لله بحق التشريع فإننا نجدها تعطي الإنسان حق النسخ لما شرع الله بدعاوى باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ، فهي تحل ما حرم الله وتحرم ما أحل الله ، وتسقط ما فرض الله ، وتعطل ما شرع الله .

إنها في قرارة نفسها لا تقدر الله حق قدره ، حين تستبعد أن يحيط الله تعالى شأنه بما يحدث للبشر برغم تغير الزمان وتبدل المكان وتطور الإنسان ، وأن يشرع لهم من الأحكام ويضع لهم من القواعد ما يصلح لهم ، ويصلحهم ، ويرقى بهم أفرادًا وجماعات ، وإن مضى عليه أربعة عشر قرنًا من الزمان .

إن الشريعة هي العدو الأول للعلمانيين في البلاد الإسلامية ؛ لأنها التي تنقل الإسلام من علم النظريات والمثاليات إلى دنيا الواقع والتنفيذ ، وهي التي تهيئ للمجتمع سياجًا من القوانين يحميه من عدوان العادين ، وهي التي تردع من لم يرتدع بوازع الإيمان ، كما قال الخليفة الثالث : إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إن العلمانية تقبل القانون الوضعي الذي ليس له في أرضنا تاريخ ولا جذور ولا قبول عام ، وترفض الشريعة التي تدين أغلبية الأمة بربانيتها وعدالتها وكمالها وخلودها ، وتحس بالإثم والقلق إذا أعرضت عن أحكامها ، وترى أنها مهددة بعقاب الله في الدنيا والآخرة [1] .

---

(١) الإسلام والعلمانية (١١٧-١١٩) باختصار .

(١٥)

عداء العلمانيين للإسلام والدعاة والمتدينين

١٥- عداء العلمانيين للإسلام والدعاة والمتدينين

يقول الأستاذ / إبراهيم بوصندل ما ملخصه :

لا أدري ما هو السر في كثرة الكتابات التي تمجد العلمانية والليبرالية مؤخرًا ، فقد لاحظنا أن بعض أنصار العلمانية والليبرالية وكأنهم اكتفوا من المشاركة في العملية الإصلاحية بمهاجمة المتدينين ، واستعراض العضلات واستخدام أقسى الألفاظ في إثارة الرأي العام ضدهم ، والتشكيك في إسلامهم (متأسلمين) ومرجعياتهم (موروثات الماضي) وذمهم (الطعن في توجيه التبرعات) واتجاهاتهم ونواياهم ، بل لم يترك العلمانيون جزئية صغيرة أو كبيرة للإسلاميين إلا وأظهروها على أنها من مثالبهم ، ونلاحظ أيضًا أن العلمانيين باتوا أكثر جرأة وأوضح لهجة من ذي قبل ، فهم يصرحون اليوم بما كانوا به يسرون ويطالبون بما كانوا به يحلمون ، وقد بلغت الجرأة بهم أنهم يطعنون في نظام الحكم الإسلامي الذي أثبتت صلاحيته في كل زمان ومكان طبق فيه تطبيقًا إيجابيًا بكل صراحة وعلانية ، وهو أمر خطير [١] .

ويقول الأستاذ حامد بن عبد الله العلي تحت عنوان : «حقيقة العلمانيين العرب» ما ملخصه : مما يحير المرء في شأن معشر العلمانيين : جماعات الشغب الثقافي والتفلت الأخلاقي في العالم العربي :

أن مشاغباتهم تأتي دائمًا في مغامرات من اللغو لا طائل تحته ، ويحاولون أن يصنعوا من أنفسهم أبطالًا للحرية من بطولات وهمية ليس من ورائها اخترع نافع ولا نقد بناء ، ولا كلمة حق أمام سلطان جائر ، ولا موقف شجاع ينصر فيه المظلوم من الظالم ، فمن أين يصيروا أبطالًا ؟ لا أدري .

يقول محمد عابد الجابري في كتابه تكوين العقل العربي : وإنه لما له دلالة

---

(١) مقال للكاتب الصحفي البحريني إبراهيم بوصندل من موقع «من وحي السماء» (٢٠) .

خاصة في هذا الصدد ، إن تخلو الحضارة العربية الإسلامية مما يشبه تلك الملاحقات والمحاكمات التي تعرض لها العلماء علماء الفلك والطبيعيات في أوربا بسبب آرائهم العلمية ، ويكفي التذكير بما تعرضت له مؤلفات كيلر ين بتر ومنع من طرف لاهويتي عصره ، بسبب تأييده لنظرية كوبرنيك الفلكية المبنية على القول بثبات الشمس ودوران الأرض حولها ، عكس ما كان يعتقد قبل .

أما في الحضارة الإسلامية فعلى الرغم من أن فكرة كروية الأرض ودورانها كانت شائعة كغيرها من الأفكار العلمية المماثلة فإنها لم تثر أية ردود فعل لا من طرف الفقهاء ولا من جانب الحكام (١) .

وهذه ملحوظة مهمة جدًا ، وهي من الأدلة والبراهين القاطعة على أن صراع العلمانيين مع الشريعة الإسلامية في بلادنا العربية ليس بسبب الجدل حول موقف الإسلام من التقدم الحضاري ولا العلوم العصرية النافعة وهي العلوم التي تدور في فلك دراسة الطبيعة واكتشافها واختراع ما يفيد الإنسان وتعتمد على المنهج التجريبي ؛ لأن الشريعة الإسلامية لا تفرض أي تعارض بين الدين وبين هذه العلوم النافعة ، بعكس ما كانت الكنيسة تفعل افتراضها هذا التعارض في أوربا قبل الثورة على سلطان الكنيسة .

بل الشريعة الإسلامية تدعو إلى تلك العلوم وتحض عليها ، وكلما كان العالم ملتزمًا بالإسلام كان أزكى عقلًا فيها وأعظم نفعًا للناس ، ولهذا لا نكاد نجد أحدًا في العالم العربي – مثلًا – في مجال هذه العلوم النافعة نصب عداءً للدين ، والسبب ببساطة أنه لم ير في الإسلام ما يشكل عائقًا أمامه البتة وإن وقع من أحد مثل هذا العداء ، فهو بسبب انتماءاته السياسة ، أو الثقافة الأخرى ، لا بسبب الاكتشافات النافعة .

وإنما غالب المعادين للشريعة الإسلامية وللتيار الإسلامي في العالم العربي

---

(١) ص (٣٤٥) مركز دراسات الوحدة .

هم قلة من جماعة (تجار الكلام) جل ما لديهم مجرد الكلام المستمر الممل والمكرر في الصحف من السخرية والاستهزاء بالدين وأحكام الشريعة والتباهي بأنهم أصحاب قلم يدافعون عن التقدم والعصرنة .

فإذا فتشت عن عصرنتهم وتقدميتهم وجدتها تدور حول الدفاع عن طعن في القرآن لا من أجل أنه اكتشف شيئًا يحرم القرآن اكتشافه بل لأن المفكر الحر جدًا الذي يدافعون عنه اكتشف فجأة أنه لم يرق له الإيمان بالبعث بعد الموت مثلًا ؛ لأنه تربى وهو صغير في مدرسة أجنبية ، أو تلقي ثقافة ملحدة ، فغرس في قلبه أن الإيمان بالغيبيات هو شيء سخيف لا يناسب الإنسان العصري ، كما تدور حول الدفاع عن حرية بيع كتب عن الجنس الرخيص ، أو أفلام من هذا النوع ، أو احترام رأي يدعو إلى اعتبار الرقص بين الجنسين اكتشاف عصري مذهل يعبر عن تقدم الدولة ، ونحو ذلك من القضايا في هذا المستوى أو دونه ، فلا جرم أن ينصبوا العداء للدين إذن ، وقد أهدروا أوقاتهم في اختراع صراع مع الدين بلا فائدة ، ويضيعون أوقاتنا معهم في قراءة ما يكتبون والرد عليه ، خوفًا على ضعفاء الإيمان من شبهاتهم .

أما لاكتشافات العلمية النافعة فلا ناقة لهم فيها ولا جمل ، ولا حتى يحسنون أن يضيفوا إليها شيئًا مفيدًا ، أو لأن هذه ليست صنعتهم إذ لو كانت لهم صنعة مفيدة لحجزتهم عن مشكلة الفراغ التي جعلتهم من تجار الكلام .

وثانيًا : لأنهم انشغلوا بشيءٍ آخر ، انشغلوا بمعاداة دينهم ، متوهمين أنهم أبطال المعركة مع التخلف ، يقودون الشعب إلى النور والمستقبل ، متخيلين أنهم سينقذون أمتنا من مثل قوى الظلام التي اضطهدت (جاليلو) ... مساكين .

قرأت لواحدٍ منهم مقالًا يبكي فيه على العلماء – كما زعمهم – الذين قتلوا لأنهم صرحوا بمعتقداتهم في غابر التاريخ ، أو ينادي من قلب يعتصر ألمًا لإنقاذ

الأمة من اضطهاد العلماء والمفكرين ، أتدرون أي العلماء يقصد : مثل الحلاج والسروردي وابن عربي ، حفنة من الزنادقة والسحرة ، لم يحسنوا سوى الدعوة إلى الإلحاد ، ويعدونهم طليعة التفكير الحر في التاريخ الإسلامي ، لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، فقلت في نفسي لا تخف أيها المخترع الكبير المضطهد والبطل القومي !!! إنك متى قررت أن تكون مثل العلماء من الخوارزمي إلى السموأل في علوم الجبر ، وابن الهيثم في علوم البصريات ، وكل من اشتغل بالنافع من علوم الطب والفلك والجغرافيا فلن يمسك سوء ، كما لم يمس أولئك سوء في تاريخ الإسلام كله ، بل كانت الحضارة الإسلامية هي التي احتضنتهم – حتى غير المسلمين منهم – وهيئت لهم أجواء حرية البحث العلمي ، لكن مصيبتنا معكم أنكم لا تحسنون سوى السخرية من الدين وحجاب المرأة ونحو ذلك ، وتعدون هذه علومكم الباهرة التي تخافون على أنفسكم من الاضطهاد بسبب اكتشافها .

إنهم لا يزيدون على استنساخ التناقض الغربي نفسه ، الذي صَفَّقَ لنجيب محفوظ لاكتشافه العظيم في رواية (أولاد حارتنا) ، وصفق لنصر أبو زيد لاكتشافاته المذهلة في الاستهزاء باليوم الآخر ، وفعل مثل ذلك لسلمان رشدي ، وسائر الأذناب زاعمًا أنهم مفكرون أحرار ، ثم هذا الغرب نفسه يقتل ٦٠٠٠ طفل عراقي كل شهر بسبب الحصار ، ويسحق بدعمه الكيان الصهيوني شعبًا بأكمله وينفق على التسلح لإرهاب العالم آلاف المليارات ، ويلقي بمليارات الأطنان من منتجاته الغذائية في المحيطات حفاظًا على أسعارها ، بينما تموت شعوب تحت الفقر والجوع والتخلف ، ويدعي مع ذلك أنه العالم المتحضر ، وخلاصة وصفهم أن الغرب أرادهم أحرارًا عندها يطعنون في دينهم ، وأرادهم عبيدًا له في كل ما سوى ذلك ، فكانوا كما أرادهم في كلا الأمرين ، ثم يتفاخرون علينا متباهين أنهم أبطال الحرية [1] .

---

(١) موقع الشيخ حامد العلي – حفظه الله – .

(١٦)

آثار العلمانية

١٦- آثار العلمانية

أ) من آثار العلمانية في مجال السياسة :

◈ استخدام المبدأ الميكيافلى «الغاية تبرر الوسيلة» من قبل الحكام مما جرد السياسة من الأخلاق ، وأبعد عنها الدين ، فأصبح استخدام كل وسيلة حلالًا كانت أو حرامًا أمرًا عاديًا ، بل لم يكن سياسيًا بارعًا من لم يفعل ذلك .

◈ استغلال الناس للوصول إلى الحكم عن طريق الديمقراطية المزعومة ، ثم تسليط السلطة على نفي الناس وظلمهم .

◈ إبعاد الناس عن الحياة ، واستثناء النهج الإسلامي ذي التوجه الرباني من الوصول للحكم ، بل ومحاربته والتنكيل بأنصاره ، واتهامهم بالتطرف والإرهاب .

◈ نشأة التيارات المغالية التي كانت ردة فعل للأنظمة العلمانية بظلمها وفسادها .

◈ ولاء الأنظمة السياسية في بلاد المسلمين لدول الكفر ولاءً كاملًا على حساب الإسلام والمسلمين .

ب) ومن آثار العلمانية في مجال الاقتصاد :

◈ ترويج سلع لعدو في بلاد المسلمين بما يقوي اقتصاده ، ويضعف المسلمين .

◈ أصبحت الثروة دولة بين عدد محدود من الأغنياء الذين لا تستفيد منه بلاد المسلمين كثيرًا .

◈ أصبح المسلمون عالة على غيرهم ، معتمدين على عددهم في كل شيءٍ .

ج) ومن آثار العلمانية في مجال الاجتماع والأخلاق :

◈ تحرير المرأة وتحللها من كل القيود التي تعصمها وتحفظ كرامتها .

◈ عودة كثير من أبناء المسلمين الذين درسوا وتربوا على مائدة الغرب ، ليساهموا في نشر ثقافتهم وفكرهم وينافحوا عنها .

◈ الفصل بين ما هو ديني وما هو غير ديني في الصحف والمجلات : مجلة دينية ، صفحة دينية ، برنامج ديني .. إلخ .

◈ انتشار الاختلاط في المؤسسات التعليمية حتى أصبح أصلًا ، ومن ينادي بفصل الجنسين يصبح شاذًا .

◈ حصر مفهوم الثقافة في أدب اللهو والمجون والطرب والغناء [١] .



---

(١) نبذة عن العلمانية د. إسماعيل محمد حنفي موقع «من وحي السماء» .

(١٧)

العلمانيون وصفات المنافقين

١٧- العلمانيون وصفات المنافقين

إذا تدبرت القرآن الكريم وجدت أن صفات المنافقين - وهم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر بالملك العلام - تنطبق على العلمانيين في بلادنا ، فهم حرب على الإسلام وأهله ، ومع ذلك يدعون أنهم مؤمنون إلى النخاع ، وأنهم ورثوا الإيمان كابرًا عن كابر : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [التوبة: ٥٦] .

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣١] .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤] .

فادعاؤهم للإيمان زور وبهتان هم بالليل والنهار حرب على الإسلام وأهله لا يقبلون حكمه بل يمكرون بالليل والنهار من أجل أن يحولوا بين الأمة وبين كتاب ربها وسنة نبيها ، فكيف يتصور إيمانهم ، يبغضون أهل الإسلام ، ويحبون أهل الصليب ، وقد قال النبي ﷺ : « **المرء مع من أحب** » .

قال أبو عمار : احذروا هؤلاء الدعاة ، نعم والله احذروهم أشد الحذر ، هم دعاة ولكن ما هي صفاتهم ، وما الذي يدعون إليه ، وكي يعرضون ما عندهم .

الجواب على هذه الأسئلة يظهر في قول رسول الله ﷺ : « **دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها** » ، قالوا : صفهم لنا يا رسول الله ، قال : « **قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** » .

فاحذروا هؤلاء الدعاة دعاة الفتنة الذين يدعون الناس إلى الفكر : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ، هم يدعون الناس إلى الشر بل يسمونه بغير اسمه كي يزين في أعين الناس .

وقد ذكر الله تعالى في سورة التوبة بعض صفاتهم فقال : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ... ﴾ [التوبة: ٦٧] .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴾ : فيه دليل على أنه يكون في الرجال، ويكون في النساء .

﴿ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ ﴾ : أي يشبه بعضهم بعضًا في القبح والخبث والشر، يتشابهون في ذلك رجالًا ونساءً، لا يختلف بعضهم عن بعض، سيرتهم واحدة، وسريرتهم واحدة، فهم متشابهون .

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ :وهو كل معصية ومخالفة لشرع الله ﷻ .

فهم يأمرون بكل منكر من قول أو فعل أو عمل، يأمرون بالشرك بالله ويسمونه بغير اسمه، كذلك يدعون إلى نبذ الكتاب والسنة، وإلى تحكيم القوانين والأنظمة الطاغوتية .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦٠-٦١] .

يدعون إلى العري، وكشف العورات، وظهور الفواحش يدعون إلى التبرج واختلاط النساء بالرجال، ومشاركة المرأة للرجل في المحافل وفي النوادي والمؤتمرات وغير ذلك، حتى تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فهم يدعون إلى النار، والله يدعو إلى الجنة .

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ : يزهدون في التوحيد؛ لأنهم ينهون عن المعروف، وأعظم المعروف هو التوحيد فلا يطيقونه، ولا يطيقون تعليمه، ولا يطيقون جعله في مقدرات الدراسة والعياذ بالله : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] .

كذلك ينهون عن الستر ، وينهون عن الحجاب ، وينهون عن احتشام المرأة ، وينهون عن بقائها في بيتها لإصلاح بيتها وأولادها ، ويأمرون بخروجها وسفورها ، ويعتبرون أن هذا هو الرقي وهذه هي الحضارة ، والله ما هي إلا حقارة [1] .



(١) أبو عمار الشبكة العنكبوتية .

(١٨)

الوسائل العلمية والعملية لمواجهة العلمانيين

١٨- الوسائل العلمية والعملية لمواجهة العلمانيين

الأصل أن تكون المواجهة من خلال خطط مدروسة ، لا مجرد ردود أفعال ، وأن تكون الخطة طويلة المدى ، ولها أهداف مرحلية واضحة ، لا مجرد مواقف آنيَّة تنتهي بنهاية الحدث .

أولاً : الموقف من العلمانيين :

١- إبراز حقيقة العلمانية والبعد الديني لها ، وحكم العلمانية والعلمانيين في الإسلام .

٢- إبراز أهداف العلمانيين ، وفضح رموزهم .

٣- إبراز وسائلهم في محاربة الإسلام والمسلمين ، وكذلك خطرهم على الأمة ، وبيان أوجه الشبه بينهم وبين المنافقين .

٤- رصد وجمع مقالاتهم ، وإيصالها لمن يستطيع الرد عليهم .

٥- الرد عليهم من خلال الخطب والقنوات الفضائية والصحف الإسلامية والكتب والانترنت .

٦- ربط أحداث العنف في البلاد بتطرف العلمانيين .

٧- تبين عيوبهم للمجتمع .

٨- النصح لهم ومحاورتهم .

٩- اختراق أماكنهم وفضح مخططاتهم .

١٠- الذهاب إلى أماكنهم ، وفضح مراميهم وأهدافهم .

١١- وضع عمل مؤسس للرد عليهم .

ثانيًا : التفاعل والتعايش مع المجتمع :

١- التفاعل والتعايش مع المجتمع .

٢- حل مشاكل المجتمع ، كالبطالة والعنوسة .

٣- الأنشطة الخيرية .

٤- إعداد الكوادر لإدارة المؤسسات الخيرية .

٥- تفريغ بعض الطاقات الجيدة للعمل الإعلامي (القنوات الفضائية والصحافة) .

٦- الاستفادة من تجارب الإسلاميين في الدول الأخرى لمواجهة المد العلماني .

٧- الاهتمام بتربية الأمة عامة والأجيال الناشئة خاصة على أساسيات الدين الإسلامي .

ثالثًا : تفعيل دور العلماء والدعاة :

١- إبراز النماذج الإسلامية والقيادات المتميزة للمجتمع لمحاربة التيار العلماني .

٢- إيصال صوت العلماء والدعاة للمسئولين .

٣- توحيد صف العلماء والدعاه لتكون المواجهة قوية مع العلمانيين .

٤- تحصين المجتمع والصف الإسلامي تجاه القضايا التي يطرحها العلمانيون من خلال التأصيل الشرعي لها .

٥- عدم الانسياق وراء الأطروحات المائعة والغامضة ، وعدم الانشغال بها .

٦- إظهار النماذج الإسلامية كقدوات واقعية في القضايا التي يطرحها العلمانيون ويحاربون الإسلام من خلالها .

٧- نشر الوعي الشرعي من تعليم الناس العقيدة والفقه والفكر الإسلامي .

٨- وضع برامج نقاش مع العلمانيين تبث مباشرة ليظهر باطلهم ، وينكشف إفكهم .

٩- إظهار وجه الشبه بين العلمانيين وبين المنافقين ، كما بينا في الباب السابق .

١٠- استخدام البرامج الإسلامية للدفاع كخطب الجمعة والمحاضرات .

١١- توضيح اعتقاداتهم بأسلوب سهل متزن يفهمه العامة والخاصة .

رابعًا : حماية المرأة :

١- الاهتمام بقضايا المرأة وعدم ترك أي مجال أو منفذ ينفذ منه العلمانيون .

٢- تأهيل الداعيات من النساء لمواجهة الهجمات المعادية لهن .

٣- المطالبة بإيجاد جمعية لحقوق المرأة بحسب الشرع ، لا كما يطالب العلمانيون .

٤- المشاركة الفعالة للمرأة المسلمة في الرد على أطروحات العلمانيين .

٥- الدعاء بأن يحفظ الله على الأمة دينها وهويتها الإسلامية ، وأن يرد كيد العلمانيين في نحورهم .

خامسًا : الأدب الإسلامي (١) :

١- نشر الأدب الإسلامي بشكل واسع ، لتكون بديلًا عن الأدب العلماني .

٢- إيجاد قصص الأدب الإسلامي .

٣- دعم الملتقيات الأدبية والشعرية .

٤- إيجاد وسائل إعلام هادفة كالقنوات ، والجرائد ، والمجلات الإسلامية لظهور الأدباء الإسلاميين فيها ، ومواجهة الأدباء العلمانيين .

سادسًا : وسائل التقنية (الإذاعة ، الفضائيات ، المواقع الإلكترونية) :

تنفيذ ما ذكر في البنود السابقة من خلال قنوات فضائية متخصصة للرد على العلمانيين ، وكذا إنشاء مواقع خاصة على الانترنت للرد على شبهاتهم .

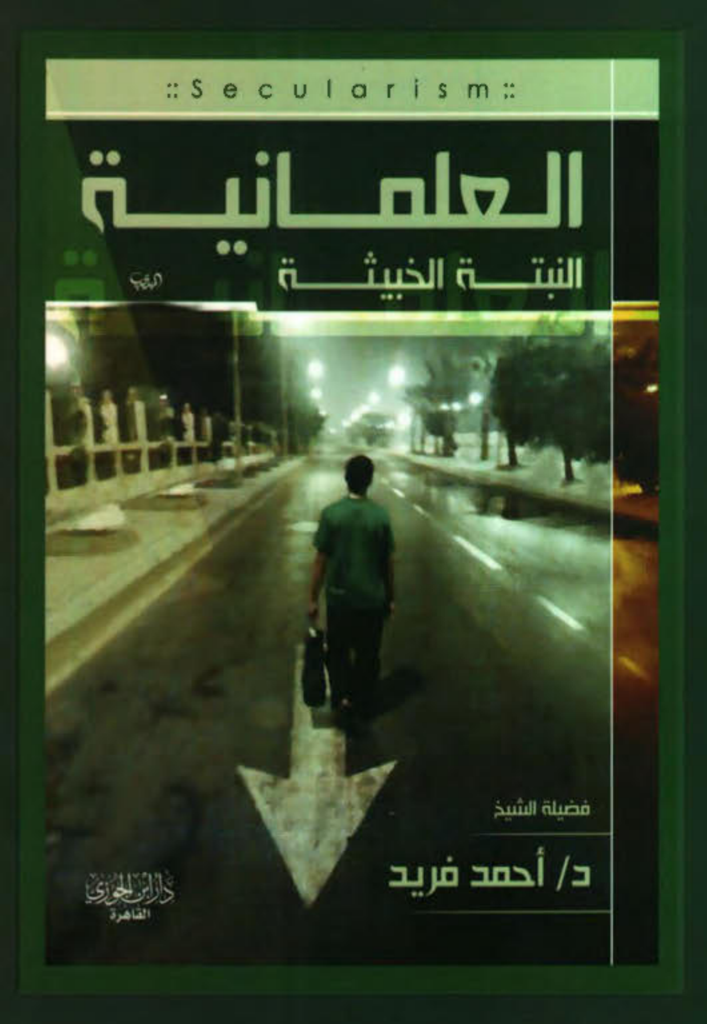
---

(١) كثير من العلمانيين يدخلون أفكارهم العلمانية من خلال الروايات الأدبية والقصص ، فعلينا أن ندافع عن ديننا من نفس صنيعهم بالأدب الإسلامي .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة.. ٣
١- معنى العلمانية ٧
٢- نشأة العلمانية وغزوها لبلاد المسلمين.. ١٣
٣- هل للعلمانية في العالم الإسلامي مبرر ١٩
٤- كيف يعرف العلماني ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾.. ٢٥
٥- كيف دخلت العلمانية بلاد المسلمين ٣١
٦- الإسلام والعلمانية لا يلتقيان.. ٣٧
٧- حكم العلمانية ٤٥
٨- العلمانية منبع الجهل.. ٥١
٩- العلمانية كارثة الأمة.. ٥٩
١٠- الطرح العلماني.. ٦٣
١١- العلمانية والعقيدة ٧١
١٢- العلمانية والعبادة.. ٧٥
١٣- العلمانية والأخلاق.. ٧٩
١٤- العلمانية والشريعة.. ٨٥
١٥- عداء العلمانيين للإسلام ٨٩
١٦- آثار العلمانية ٩٥
١٧- العلمانيون وصفات المنافقين ١٠١
١٨- الوسائل العلمية والعملية لمواجهة العلمانيين ١٠٦





جمهورية مصر العربية - القاهرة
٥ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٩٠٣ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٦٢٠
جوال: ٠٠٢٠١٠١٧٦٧٣٩٨ - ٠٠٢٠١٠٣٣٥٠٦٩٧
E-mail:dar_ebnelgawzy@yahoo.com

Designed by : Muhammad el.Mahdy